تاريخ الأنصار السياسي
(١)

مدينة يثرب قبل الإسلام

الدكتور ياسين غضبان

مؤسسة الرسالة

دار البشير

مدينة يثرب قبل الإسلام

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٩٥٦،٥٦٦
ياس ياسين غضبان
مدينة يثرب قبل الإسلام/ ياسين غضبان. ـ عمان:
دار البشير للنشر، ١٩٩٣
(١٦٨) ص
ر. أ (١٩٩٣/٢/١٥٧)
١ ـ السعودية ـ تاريخ ٢ ـ يثرب ـ تاريخ
أ ـ العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع
مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ - ص.ب ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان ـ الأردن

Dar Al-bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax (659893) / Tlx (23708) Bashir
P.O.Box (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روحي والديّ الطّاهِرَتَين

﴿رَبِّ ارحَمهما كَما رَبّياني صَغِيراً﴾

سورة الإسراء آية ٣٤

كلمة شكر وتقدير

لا يسع المرء إلَّا أن يُقرَّ بالشكر والتَّقدير والعرفان إلى الَّذينَ ساهَموا مِن قريبٍ أو بعيدٍ في إنجاز هذا البحث وإظهاره بشكله الذي هو فيه. الفضل الأوّل إلىٰ فضيلة الدكتور «أبو الفتح محمد صغير الدِّين» رئيس قسم التَّاريخ الإسلامي في جامعة السند، الَّذي قبل مشكوراً الإشراف على الرِّسالة، وتجشَّم الكثير من الجهد بالإرشاد والمراجعة والتوجيه، حتى استحق أن يقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة فيه. فالشكر الجزيل له.

وأحب أن أسجل في هذا المقام الشكر لكل الذين أبدوا رأياً، أو قدموا مشورة، أو ساعدوا في الحصول على مرجع، أو سهلوا صعباً، أو ذللوا عقبة، وإلى الَّذين قاموا بطبع هذا البحث وإعداده وتجليده وتصويره.

ومن المناسب أن أقول لأمّ أولادي بأن هذا العمل في هذا العمر اجتزاء وقت أحق به هي وأسرتنا، لكنها كانت تدفعني للبحث وتسدُّ ورائي كل فجوة، وتسامحني عن كل تقصير، وترى في جدِّي واجتهادي وبحثي مثالاً طيباً لأولادي التسعة الذين يتناثرون على مقاعد الدرس من الدكتوراه حتى المرحلة الابتدائية.

وإلى كل أولادي الذين قاموا بجهود مشكورة في المراجعة، وعمل الفهارس، وتشكيل الآيات وتحقيقها، والأحاديث والأقوال. فكان عملهم تخفيفاً عني، ودفعاً لي، وجذباً لهم ليقرؤوا البحث ويزدادوا اطلاعاً لحوادثه.

وأخيراً إلى الـذين يرون عملي هذا في مثل سنِّي تحقيقاً للحكمة المأثورة:

«اطلبـوا العلم من المهـد إلى اللحد» فكانوا العون لي والمشجعين لعملي وإلى السادة العاملين في دار البشير صاحبها وكافة العاملين فيها جزيل الشكر والامتنان للمساهمة الجادة في طبع هذا البحث وإخراجه إلى القراء بالشكل الجذاب وليصل إلى يد القراء مقبولاً مرغوباً بقراءته واقتنائه. أشكر لكل هؤلاء ما قدموه وأرجو الله أن يجزيهم عني خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين،

مدخـــل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

هذه الدراسة ليست جديدة في تفكيري ، ولم تكتمل حدودها وأبعادها الآن ، بل إنها تراود ذهني منذ أيام الدراسة الجامعية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات عندما كتبت مخطوطاً عن حياة الصحابي الأنصاري سعد بن معاذ ثم سعد بن عبادة ، ثم أسيد بن حضير وطـويت هذا المخـطوط منذ أعوام طويلة ولم أعد له اطلاقاً. وعنـدمـا كنت اتابع دراستي العليا في مصر أول ما تبادر إلى ذهني أن أكتب عن الأنصار، وفعلاً فقد وضعت مخططاً لبحث الماجستير عن هذا الموضوع لكنه لم يجد قبولاً من الأستاذ المشرف، وتوقفت عن الدراسة وقتها لأسباب كثيرة وطويت المـوضـوع ثانية. عنـدما نلت شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية عاودني الحنين ثانية إلى الأنصـار لأن يكـون موضـوعـاً لنيل شهـادة الـدكتوراه. عرضت الموضوع على بعض الأخصائيين فنال رضاهم ، وكان لقاءً مباركاً مع الأستاذ الفاضل أبـو الفتـح محمـد صغير الدين الذي وافق على الموضوع وأصبح المقرر لرسالة الـدكتـوراه في جامعـة السنـد، جمهورية باكستان الإسلامية، وعادت المياه إلى مجاريها تصب في بحر الأنصار.

الجديد في الموضوع هو تحول الدراسة من تاريخ الأنصار الذي وجدت فيه أثنـاء البحث أنني إن دخلت فيه فقـد لا أخرج لتشعب الموضوع واتساعه، وكثرة مراجعه والتأليف فيه على الرغم من أن الدافع الأساسي الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع بالذات هو عدم الترابط في الحديث عن الأنصار في معظم كتب التراث،

وحتى لا أتيه أو أمل من كثرة البحث والتقصي وتكرار الحديث في أكثر المراجع فقد تحولت قليلاً جداً الآن للحديث عن

الفكر السياسي عند الأنصار

أو تاريخ الأنصار السياسي

هذا الموضوع يدخل في مجال دراستي من ناحيتين:

الأولى: إجمال الدراسات الإسلامية في موضوع دراستي

والثانية: اتجاهي لدراسة التاريخ الإسلامي والفكر السياسي الإسلامي حولني إلى اختيار هذا النوع من الدراسة.

والفكر السياسي عند الأنصار بحث طويل تنتابه التحولات، وتتيه به الحدود، إلى أن استقر أخيراً في الإسلام. وأصبح فكراً إسلامياً خالصاً لا عوج فيه، حيث لم يثبت أو يظهر أن أنصارياً قد تردد في قبول حكم الله ورسوله، وأيده تضحياتهم اللامتناهية من أجل الإسلام ورسول الإسلام.

إلَّا أن الشيء لا يُعرف إلا بضده، فإن قسماً كبيراً من سكان المدنية (الأوس والخزرج وحلفائهم) ـ كما كان بعض قريش ـ قد وجدوا في الإسلام سلباً لمكاسبهم؛ فنتج عن ذلك النفاق الذي استشرى في المدينة. فكان الأنصار والمنافقون من منبت واحد كما كان المهاجرون والكفار من منبت واحد، كما أن اليهود كان لهم كبير الأثر في نماء هذه الظاهرة واستمرارها.

الفكر السياسي عند الأنصار ـ الموضوع الذي نحن بصدده ـ كان بارزاً في شعرهم في الجاهلية واضحاً في شعرهم في الإسلام، فقد انبرى (الشعراء) حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم ليكونوا لسان الدعوة الإسلامية، والمدافعين عنها ضد الحاقدين والمنافقين والكافرين. وتوضح الفكر السياسي عندهم. في حروبهم وفي اتحادهم وفي إسلامهم وفي بيعتهم لأبي بكر، وفي مشاركتهم بكل ما أوتوا من قوة في سبيل تحقيق سيادة الإسلام ووجوده.

لا يمنـع الحديث في هذا التوجه الوقوف على الأفكار السياسية التي سبقت الإسـلام سواء منها الديني أو السياسي وخاصة الممالك والقبائل والامبراطوريات التي أحاطت بالجزيرة العربية، والتي كان لها تأثيرٌ قريب على فكر الأوس والخزرج وتوجهاتهم قبل الإسلام، ومن ثم تحولهم إلى فكر الإسلام ودولته التي كانت نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية قاطبة.

كمـا أن الحـديث لا يقف إزاء التوجهات السياسية فقط فهذه حالة من حياة الشعب وليست كل حالاته، فإذا طغت السياسة على تفكير شعب وصل إلى مرحلة الجدل التي تقود عادة إلى الدمار. ولا يكثر الجدل في هذا الباب إلاّ عند فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم حيث يتوجه الحاكم لفرض آراء معينة، أو الأخذ بأسباب القوة التي تقـود إلى حب السيطرة والـظلم وهـذا أمـر موثـوق معروف في تاريخ الدول والممالك. ولذلك نرى أن الشقة بين الحاكم والمحكوم كلما صغرت كلما توجه الناس إلى أفكار أخرى تختص بالمدنية والحضارة والنفع العام.

من هذا المنطلق نجد أن الثقة المطلقة التي أولاها المسلمون قادتهم؛ وخاصة محبتهم اللامحدودة للرسول ﷺ ـ كما سنقف في بحثنا على بعض الشواهد ـ دليل على أن هذه الثقة هي التي أدت إلى تلك الفتوحات، وتلك الانتصارات. ثم إن الإيمان العميق الذي دخل قلوب المسلمين أوسهم وخزرجهم وقرشييهم قد حولهم من همل مشاع إلى قادة للدنيا . علمائها وساداتها وساستها والقائمين على أمر العباد فيها في فترة لا تعتبر شيئاً إذا قيست بعمر الأمم والشعوب ـ وهذا هو النصر الذي وعد الله به عبـاده المتقين ـ وهـذا هو الاستخـلاف الذي أراده الله لعباده المؤمنين في الأرض، وهذا هو الميراث الذي قدره الله تعالى لعباده الأوفياء في أن تكون الأرض بعض ميراثهم.

يطول الحديث ويتشعب عن فكر الإسلام في الحكم ونظريته التي لم يكن لها سابقة في تاريخ البشرية، وتلك القواعد والأسس التي نظمت العلاقة بين الحاكم

والمحكـوم. ومهمـا قلنا فإن السياسة في الإسلام قد حوت من الفكر والتوجهات والحدود ما لا يقدر على حملها إلّا الأوفياء من الناس وهذا هو جيل المسلمين شقه الأول المهاجرون وسائره الأنصار والذين تجلت لديهم معاني التضحية في مواقف رائعة كما سيرد الحديث عنها بعون الله.

ليس فقط التوجه السياسي ونظام الحكم هو المقصود بذاته في هذه الدراسة وإنما هي الحدود التي أقرها الإسلام والتي ما عرفها نظام قبله، ولا عرفتها أفكار الشعـوب، وعنـد التـطبيق الأمثـل أعـطى نتائج مذهلة ما زالت في نظر الباحثين والمؤرخين معجزة قائمة وكلما عاود المسلمون تطبيقها بعودتهم إليها، وعادوا للعمل الجاد بها بنفوس المؤمنين الأتقياء، فإن وعد الله يتكرر ونصره المؤزر يظهر والعاقبة للمتقين.

وأخيراً فقد تحولت فصول البحث إلى كتب منفصلة، أخذ كل واحد منها اسم الفصل الذي يخصه وأرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى إخراجه بشكل يجعل القارىء على صلة بين أجزائه للارتباط الوثيق بين كل فصوله وعدم الوقوف على واحد منها.

حسبنا الله ونعم الوكيل وهو المستعان وإليه المآب والحمد لله رب العالمين.

عمّان في ٢٥/ صفر ١٤١٣هـ

١٩٩٢/٨/٢٤م

الفصل الأول

مدينة يثرب قبل الإسلام «موطن الأنصار»

القسم الأول: مدينة يثرب

١ـ الموقع الجغرافي والحرات، الينابيع والمياه والمناخ.

٢ـ أقسام المدينة: تاريخها ومناقبها.

٣ـ سرد تاريخي للحياة في يثرب ـ السكان القدماء.

القسم الثاني: ١ـ اليهود.. قدومهم إلى يثرب.

٢ـ مواطنهم وصلاتهم بالعرب.

٣ـ أحوال اليهود الاجتماعية والأدبية.

٤ـ قبائل اليهود.

٥ـ اليهود والعرب.

٦ـ مواقع اليهود في الحجاز عدا يثرب.

٧ـ الحياة السياسية والدينية والفكرية عند يهود.

القسم الثالث: العرب.

١ـ تعريف.. ومصادر التاريخ العربي.

٢ـ العرب على مدار التاريخ وأقسام التاريخ العربي.

٣ـ القبائل البدوية العربية.

٤ـ الحياة السياسية للقبائل العربية.

القسم الأول

مدينة يثرب

معنى يثرب في «لسان العرب» مادة «ثَرَبَ».

الثَّربُ: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء وجمعه «ثُرُوبٌ».

والثرب: الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين.

شاة ثرباء: عظيمة الثرب، وأنشد شعراً: وأَنْتُم بشَحْمِ الكُليْتَيَنِ مع «الثَّربِ».

وفي الحديث: (نهى عن الصلاة إذا صارت الشمس كا «الأَثارِبِ») أي إذا تفرقت وخصت موضعاً دون موضع عند المغيب.

وفي الحديث: «إن المنافق يؤخر العصر حتى إذا صارت الشمس «كثرب» البقرة صلاها».

التَّثْريبُ: التَّأْنِيَبُ، والتَّعْيِيرُ، والاسْتِقْصَاءُ في اللوم.

الثَّارِبُ: الموبخ. يقال: ثرب وثرّب وأثرب: إذا وبّخ.

قال نصيب:

إنــي لأُكْــرَهُ ما كَرِهْــتَ مِنَ الَّــذي   يُؤْذِيكَ سُوء ثَنـائِـه لم يَثْـرِبِ

قال: «المْثُرَبّ» قليل العطاء ـ وهو الذي يمن بما أعطى.

ثَرَبَ عليه: لامه وعيّره بذنبه، وذكره به.

قال تعالى: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَومَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف آية (٩٢).

قال الزجاج: معناه لا إفساد عليكم.
وقال ثعلب: معناه لا تذكر ذنوبكم.
قال الجوهري: وهو من الثّرب، كالشغف من الشغاف.
والمثرب: المعيّر، وقيل المخلط المفسد.
والتّثْرِيبُ: الإفساد والتخليط.
ويصل بعد ذلك صاحب اللسان إلى القول:
ويثرب: مدينة سيدنا رسول الله ﷺ، والنسب إليها: يَثْرَبِيّ ويَثْرِبِيّ وأَثْربِيّ، وأَثْرِبِي ففتحوا الراء استثقالاً لتوالي الكسرات.

وروى عن النبي ﷺ: أنه نهى أن يقال للمدينة يثرب وسماها «طيبة».
كأنه كره كلمة «الثَّرْبُ» لأنه فسادٌ في كلام العرب.
قال ابن الأثير: يثرب اسم مدينة النبي ﷺ قديمة، فغيرها وسمّاها «طيبة» و«طَابَه» كراهية التثريب وهو اللوم والتعيير.

وقيل: هو اسم أرضها.
وقيل: سميت باسم رجل من العمالقة.
ونصل يَثْرِبي، وأَثْرِبي: منسوب إلى يثرب.
وقوله: ما هو إلاّ اليَثْرِبيُّ المقطع.
زعم بعض الرواة أن المراد با ليثربي السهم لا النصل وأن يثرب لا يعمل فيها النصال.

قال أبو حنيفة: وليس كذلك لأن النصال تعمل بيثرب وبوادي القرى وبالرقم ويغيرهن من أرض الحجاز.
والثِّربُ: أرض حجارتها كحجارة الحرة إلاّ أنها بِيضٌ.
وأثَارِبُ: موضع[1].

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ١/٣٥٢.

وفي مختار الصحاح ثَ رَبَ (الثَّرْبُ) شحم قد غشى الكرش والأمعاء.

والثرب: التعيير والاستقصاء في اللوم.

ويثرب: مدينة الرسول ﷺ[1].

وفي معجم البلدان يَثْرِب: بفتح أوله وسكون ثانية، وكسر الراء، وباء موحدة.

وقال أبو القاسم الزجاجي: يثرب مدينة الرسول ﷺ سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق (يَثْرِبُ بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عبيل بن عوض بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام). فلما نزلها رسول الله ﷺ سمّاها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله فيها[2].

قال: ولو تكلف متكلف أن يقول في يثرب أنه يفعل من قوله تعالى: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾. قال المفسرون وأهل اللغة معناه لا تعيير عليكم بما صنعتم.

ويقال: أصل التثريب، الإفساد.

ويقال: ثرب علينا فلان.

وفي الحديث: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها، ولا يثرب» أي لا يعيّر بالزنا.

ثم اختلفوا فقيل: إن يثرب للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ. وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي ﷺ ولما حملت (نائلة بنت الفرافصة) إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قالت تخاطب أخاها:

أَحَقاً تَراهُ اليومَ يا ضَبُّ أَنَّني ... مُصَاحِبة نَحو المدينة أَرْكَبا

لَقَدْ كانَ في فِتْيان حِصن بن ضَمْضَم ... لَكَ الويلُ ما يَجْرى الحباءُ المُحَجَّبَا

قَضَى الله أن تَمُوتي غَرِيبةً ... بِيَثْرِبَ لا تَلْقَين أُمّاً ولا أَبا

قال ابن عباس رضي الله عنه: من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة.

(١) مختار الصحاح ـ الرازي ص٨٣ وتهذيب الصحاح ـ الزنجاني مادة (ثرب) ١/ ٤١.

(٢) جواد علي ٤/ ١٢٨. شعر الحرب ـ الخطراوي ١٩.

وقال النبي ﷺ لما هاجر: «اللهم إنك أخرجتني من أحب أرضك إلي فأسكني أحب أرضـك إليك، فأسكنه المدينة، وأما حديثها وعمارتها فقد ذكرته في المدينة وقد نسبوا إليها السهام فقال «كثيّر»:

ومـاءٍ كأن الـيَثْـربِـيَّة انّـصَـلت بأَعْـقَـارَه دَفْـعُ الإزَارِ نُزُوع[1]

وكانت يثرب موضعاً معروفاً منذ زمن بعيد، منذ أيام المعنيين، ومع أن تاريخها الأول غامض أيضـاً فإن الأخبـار التي وصلت إلينا من تاريخها أقدم من تلك التي وصلت إلينا من تاريخ مكة.

أسماء المواضيع المشتقة من الجذر «ثَرَبَ» و قَريبه «تِرْبُ» ليست قليلة، ولعل الموضوع الذي يأخذ اسمه من ثرب (بالثاء) المنقوطة بثلاث نقط فقط أقدم عهداً من الموضع الذي يأخذ اسمه من ترب في القاموس المحيط ١ / ٤٠.

ترب: كثر ترابه، مما يدل على أن الموضع المسمى بصيغة من هذا الجذر كثير التربة خصب وتربة واد، وتربية، وترابه: موضعان في اليمن. وتربان: واد بين الحفير والمـدينـة. وثربان (بالثاء) حصن في اليمن. وأثارب (بالثاء) أيضاً: قرية بحلب. ويثـرب، وأثـرب (بالثاء): مدينة النبي ﷺ (موضع بحثنا هنا). أما يترب (بنقطتين فوقها فقط) فموضع قرب اليمامة القاموس ١ / ٣٩-٤٠ ويبدو أن اسم «المدينة» علما على يثرب كان قديماً، ولكن الاسم «يثرب» أقدم، ولعله الاسم «أترب» أكثر قدماً[2].

ويثـرب: مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات المعينية، وكانت من المواضع التي أقـامت فيهـا جاليات من معين، ثم آل أمـرها إلى السبئيين بعد أن دالت دولة

(١) معجم البلدان ـ الحموي ص٤٣٠.

(٢) تاريخ الجاهلية ـ فروخ ص ١١٥-١١٦.

المعينيين. ومن المعروف أن معين وسبأ كانتا تفرضان نفوذهما في بلاد العرب الشمالية.

كذلك جاء ذكر يثرب في جغرافية بطليموس البيزنطي باسم IATHRIPPE ومرة باسم IOTHRIPPE . وذكر (اصطيفانوس) البيزنطي باسم IATHRIPPA POLIS وعرفت عند الإخباريين باسم «أثرب» ويثرب.

وذكر أن يثرب هي أم قرى المدينة، وحددوا امتدادها ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف). وما بين المال الذي يقال له (البرناوي) إلى (زبالة).

ويزعم بعض الإخباريين أنها سميت يثرب نسبة إلى (يثرب بن قانية بن مهلائيل...) وهو أول مَنْ نزلها من بعد تفرق ذرية نوح.

وزعم أخرون أن اسم يثرب مأخوذ من الثرب بمعنى الفساد أو (التثريب) أي المؤاخذة بالذنب.

وذكروا أن النبي ﷺ، نهى عن تسمية يثرب بيثرب وسمّاها طيبة وطابا كراهية للتثريب.

وذكر البلاذري أن يثرب سيمت باسم رئيس للعماليق الذين نزلوها بعد أن أخرجوا منها بني عبيل بن عوض بن سام من ولد نوح[1].

وقد ورد اسم يثرب في القرآن الكريم عند تعرضه لما يقوله المنافقون. قال تعالى: ﴿وإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنافِقُونَ وٱلَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرضٌ مَا وَعدنَا ٱللهُ وَرسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً. وَإِذْ قالَتْ طآئِفةٌ مِنهُمْ يآ أهلَ يَثْرِبَ لاَ مُقامَ لَكُمْ فَٱرجِعُوا

---

(١) أنساب الأشراف ـ البلاذري ص د، مروج الذهب ـ المسعودي ١/٤٢.

وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ ٱلنَّبِيَّ يقولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عوْرَةٌ وما هِيَ بِعَوْرةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلَّا فِرَاراً﴾[1]

ويشير المسعودي إلى أن ما وقع في القرآن الكريم من تسميتها بهذا الاسم إنما هو حكاية من قول المنافقين[2] ويذكر بعض أهل الأخبار أن أقدم مَنْ سكن (يثرب) في سالف الزمان قوم يُقال لهم (صُعل) و(فالج) فغزاهم النبي داوود عليه السلام وأخذ منهم أسرى، وهلك أكثرهم وقبورهم في ناحية الجرف.

وسكنها العماليق، فأرسل عليهم النبي موسى جيشاً انتصر عليهم وعلى مَنْ كان ساكناً منهم بـ (تيماء) فقتلوهم. وكان ذلك في عهد ملكهم (الأرقم بن أبي الأرقم) ولم يترك الإسرائيليون منهم أحداً وسكن اليهود في مواضعهم[3].

ونـزل عليهم بعض قبائل العرب، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والآطام والمنازل، ومن هؤلاء (بنو أنيف) تصغير (أنف) وهم حي من (بلى).

ويقال: إنهم بقية من العماليق.

---

(١) سورة الأحزاب آية (١٢-١٣).

(٢) تاريخ العرب ـ سيد عبدالعزيز ٣٣٢-٣٣٣.

(٣) يلاحظ كثير من المغالطة في هذه الرواية من «الإسرائيليات»، وذلك لإثبات بعض الحق لليهود في المدينة، خاصة أنهم أخرجوا منها وقتلوا. فسيدنا موسى عليه السلام لم يتمكن من ضبط بني إسرائيل ليقاتلوا عدوهم ويدخلوا أرضهم التي وعدوا بها فقالوا لموسى: ﴿فاذهَب أنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إنَّا هَاهُنا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٤].

فكيف يتسنى لموسى عليه السلام أن يرسل جيشاً كبيراً من صحراء التيه إلى يثرب ليقاتل ملكها الأرقم بن أبي الأرقم، مع توافق اسم الملك مع الرجل الصحابي الذي فتح داره للدعوة الإسلامية في بداية عهد الإسلام. ومن المؤكد تاريخياً أن اليهود جاؤوا إلى يثرب بعد النكبات التي لحقت بهم على يد الآشوريين والبابليين ومن بعدهم الرومان «شعراء الحرب ـ الخطراوي» ٣٥ فما بعد.

(وبنو مريد) مزيد (مرثد)، حي من «بلي»، وبنو معاوية بن الحارث بن بُهثه بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.

وبنو الجدمي (الجدماء) هي من اليمن. فعاشوا مع مَنْ كان بيثرب وأطرافها من اليهود، واتخذوا المنازل والآطام يتحصنون فيها من عدوهم إلى قدوم الأوس والخزرج إياها(١).

الاسم القديم لمدينة الرسول إنما هو يثرب، وقد اختلفوا فيما إذا كان اسماً للمدينة نفسها أم لموضع مخصوص من أرضها، أو أنها اسم للناحية التي منها مدينة الرسول. أما اسم المدينة الذي أُطلق على يثرب بعد الهجرة النبوية فقد يكون مأخوذاً من لفظة (مدينتا) MEDINTA الآرامية، ومعناها الحمى أو المدينة، وقد يكون اختصاراً من (مدينة الرسول). وأعتقد أنه في كلتا الحالتين أطلق عليها بعد الهجرة ولم يكن يطلق عليها قبل ذلك، وإن كان بعض المستشرقين يرى أن اليهود والمتأثرين بالثقافة الآرامية، أو بعض المتهودة من بني ارم الذين نزلوا بيثرب ودعوها «مدينتا» ومن هذه اللفظة جاءت لفظة المدينة، أي أن لفظة المدينة كانت تطلق قبل ظهور الإسلام على يثرب(٢).

وأقدم مورد أشير فيه إلى «يثرب» هو نص الملك «بنونيد» ملك بابل الذي سكن (تيماء) أمدا، وذكر فيه أنه بلغ هذه المدينة وقد عرفت (بيثربة) (JATHRIPA) في جغرافية بطليموس، وعند اصطيفان البيزنطي عرفت بالمدينة كذلك وكلمة MEDINTA و MEDINTO الإرمية التي تعني (مدنية) في (عربتنا) و(هكر) في العربية الجنوبية.

وقد ورد اسمها في الكتابات المعينية، ويظهر أنها عرفت (بمدينة يثرب) على نحو ما وجدنا في كتاب (إصطيفان البيزنطي) ثم اختصرت فقيل لها (مدنيتا): أي المدينة ولما نزل الرسول بها عرفت (بمدينة الرسول) في الإسلام.

---

(١) جواد علي ٤/ ١٢٩.

(٢) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ٣٣٢.

ولقدم تايخ (يثرب) ولورود اسمها في نص (بنونيد) الذي يدل على أنها كانت معروفة آنذاك، لا يستبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على كتابات وآثار قد تكشف عن بعض تاريخ هذه المدينة في أيام ما قبل الإسلام.

وعثر في مواضع لا تبعد كثيراً عن (يثرب) على كتابات جاهلية لم تعرف هويتها الآن لأن الباحثين لم يتمكنوا من فحص مواضعها، ومن نقلها إلى العلماء المختصين لقراءتها؟ كما أنهم لم يتمكنوا من تصويرها. ولا من التنقيب في تلك الأماكن تنقيباً علمياً.

وقد أشار عثمان رستم إلى وجود كتابات من هذا النوع على جبل (سلع) وعند موضع بئر عروة بوادي العقيق.

وفي أماكن أخرى أرجو أن يصل إليها الباحثون للتنقيب فيها ولحل رموز هذه الكتابات وقد يعثر على كتابات أخرى مطمورة في تربة (يثرب)، وفي الأماكن القريبة منها تقدم للقادمين من بعدنا أسرار هذه المدينة المقدسة[1].

وإطلاق اسم يثرب على المدينة فيه خلاف بين المؤرخين فبينما يراه ابن عباس رضي الله عنه اسماً للمدينة نفسها نجد أن أبا عبيدة يؤكد أنه اسم للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، أي أن لفظ يثرب أعم من لفظ المدينة.

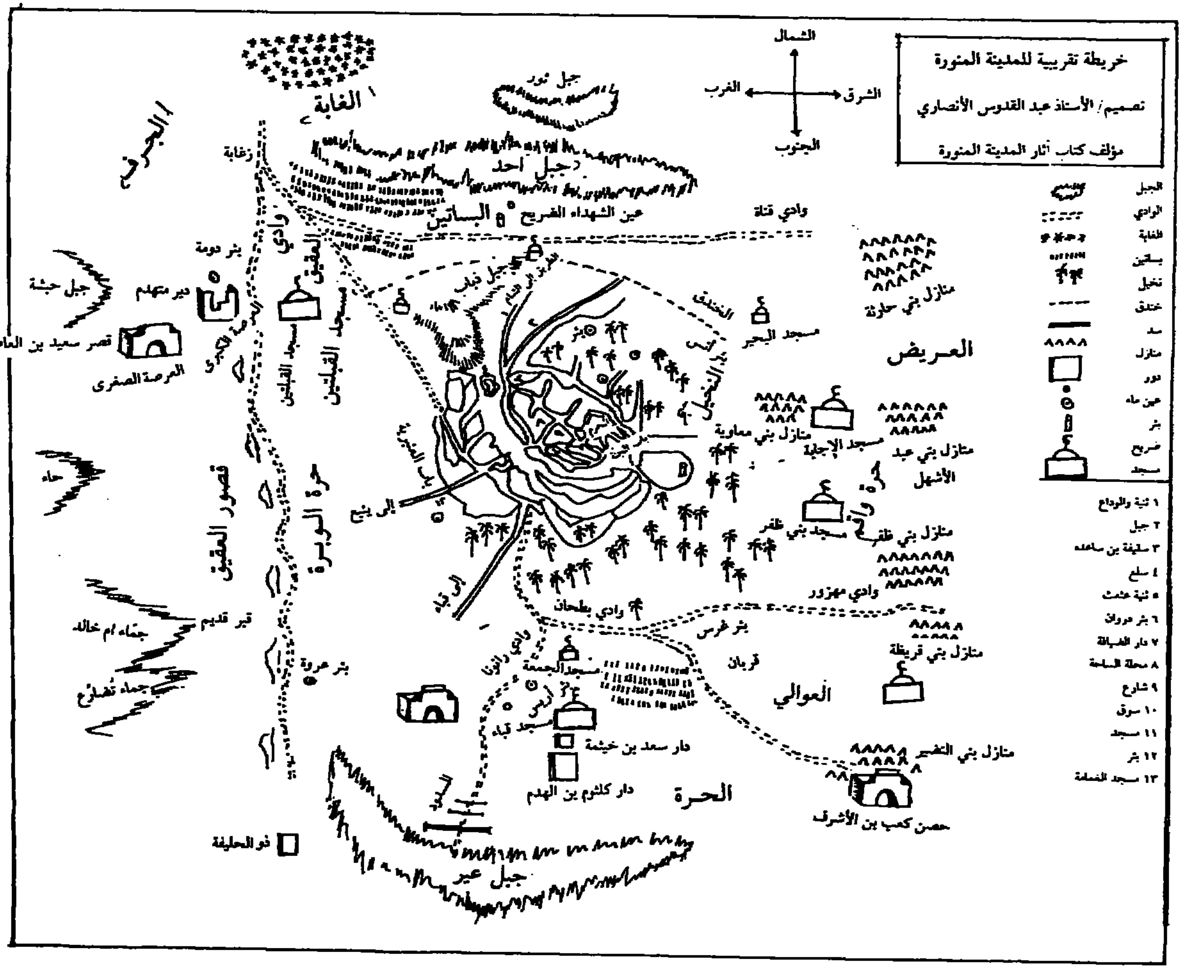
ويذكر العلاّمة السمهودي[2] أن محمد بن الحسن بن زبالة يقطع بأن يثرب أو أثرب اسم لموضع مخصوص من أرض المدينة لأنه كان ينشر فوق أرض المدينة عديد من القرى العامرة المأهولة، غير أن يثرب هي أم قراها جميعاً.

وسميت المدينة المنورة مدينة من قولهم مدن بالمكان إذا أقام، أو من دان إذا

---

(١) جواد علي ٤/ ١٣٠-١٣١.

(٢) وفاء الوفا ـ السمهودي ١/ ٨ـ١٠، وأخبار المدينة (الدرة الثمينة) للحافظ بن محمود.



السيرة النبوية ـ أبو الحسن الحسني الندوي

أطـاع والميم على هذا التفسير زائدة، لأن السلطان يسكن المدن فتقدم له طاعة فيها أو لأن الله تعالى يطاع فيها. وهذه التسمية إسلامية، فالاسم الذي كانت معروفة به قبـل هجـرة الـرسول ﷺ إليها إنما هي يثرب، وهي مكان مخصوص منها كما سلف، وأُطلق عليها من باب إطلاق الجزء على الكل، وهو الاسم الذي تعوّد أن يطلقه عليها بعض المؤرخين والشعراء.

وكانت يثرب من أول عهودها بلداً زراعياً راسخاً في الحضارة، بخلاف مكة التي كانت البداوة تغلب عليها في حياتها السياسية، وحياتها الاجتماعية على الأقل لا في حياتها الاقتصادية[1]. ويثرب هذه التي هي جزء من المدينة يشير بعضهم إلى أنهـا واقعة في الجزء الشمالي من المدينة ابتداء من شمال جبل سلع إلى منتهى (زغابة) ومنطقة العيون، على أن البعض يحدها جنوباً بزبالة، وزبالة هي المنطقة التي تقـع فيهـا بئـر رومـه وبستان الأزهري، ويقع شرقيها المجرى القديم لوادي مهزوز، وعلى غربها مجرى وادي العقيق.

وحددها ابن النجار بأنها الجزء الواقع ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وما بين المال الذي يقال له البرناوي إلى زبالة.

أما المدينة نفسها فقد جعل لها الرسول ﷺ حرماً محدوداً جنوباً بجبل (عير) (مرادف للحمار) وبعضهم يسميه (عاير)، وهو جبل كبير مشهور بغرب ذي الحليفة ـ ميقات المدينة. . وشمالاً بجبل (ثور) (فحل البقر). وهو جبل صغير مدور شمالي أحد وهو إلى الحمرة أقرب على شمال المتجه إلى (العاقول) من الطريق المسفلت اليوم بين المدينة والمطار إذا ما وصل إلى المكان المعروف بمقعد بني مطير.

وقيل هذا القبيل الذي شقه الطريق المسفلت إلى المطار والمعروف الآن بمقعد

---

(١) تاريخ الجاهلية ـ فروخ ص١١٦.

بني مدير[1] ويتفق الأخباريون على أن يثرب سميت بمدينة الرسول لنزول رسول الله بها، ولنفوره من اسمها القديم سواء أكان بمعنى التثريب أو الإفساد، أو لأنه رئيس من العمالقة الذين نزلوا بها في العصور القديمة فيما يقرب سنة ٢٦٠٠ق.م على حد قول بعض الباحثين المحدثين.

مدينة يثرب:

ذكر الإخباريون أن ليثرب أو المدينة تسع وعشرون اسماً هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكنة، والعذارء، والجابرة، والمحببة، والمحبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكالة البلدان، والمخفوفة، والمسلمة، والمخبة، والقدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشامّية، والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصمة، وطابا.

وأضاف إليهم بعضهم: البحرة، البارة، والبرة، وتنور، والحسيبة، ودار الأنصار، وحسنة، ودار الأخبار، ودار الإيمان، ودار السنة، ودار الهجرة، والمختارة، وغلبة، وقبلة الإسلام، والمحفوظة، ومدخل صدق، والمقدسة[2] وجعلها السمهودي أربع وتسعون اسماً[3].

أما ابن زبالة فيجعل أسماءها أحد عشر اسماً هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكنية، وجابرة، والمجبورة، والمرحومة، والعذراء، والمحبة، والمحبوبة، وقاصمة وكل هذه الأسماء عرفت بها المدينة بعد الهجرة، أي في العصر الإسلامي باعتبارها دار الهجرة ومركز الدولة الإسلامية في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين.

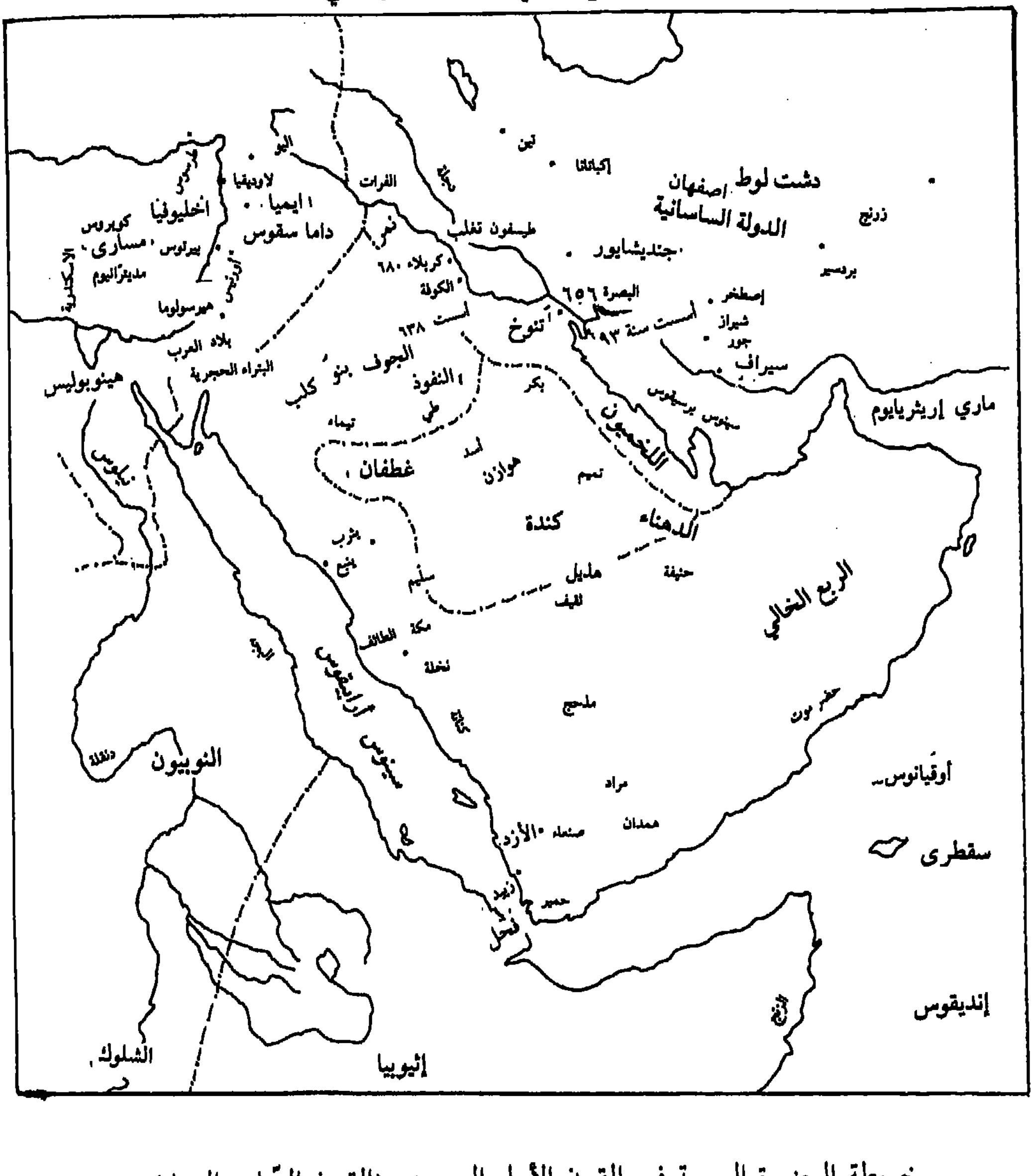
---

(١) شعراء الحرب ـ الخطراوي من ٢٠ـ٢١. مرآة الحرمين ـ رفعت باشا ١/٤٤٧.

(٢) عمدة الأخبار ص١٤.

(٣) وفاء الوفا ـ السمهودي ١/ ٨ـ٢٧ أولها (أثرب) وآخرها (يندر) وهي ٩٤ إسماً.

نقلاً عن: التاريخ العربي ومصادره ـ أمين مدني



خريطة الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري (القرن السّابع الميلادي).

وهناك اسم عرفت به بحكم طبيعة موقعها الجغرافي بن حرتي (راقم) و(وبرة) فهي ذات الحرار، أو ذات الأحرين.

ومعظم أسمائها صفات وصفت بها لتغطيتها، وإظهار فضائلها وآثارها[1].

الموقع:

تقع مدينة يثرب على بعد نحو ٥٠٠ كيلو متراً إلى الشمال من مكة في بسيط من الأرض مكشوف من سائر الجهات في مرة سبخة من الأرض كثيرة المياه والشجر والدوحات وأقرب الجبال إليها هو جبل أحد، ويقع شمال يثرب. في حين يقع جبل عير الوارد في جنوبها الغربي. وجبل عير جبلان أحمران متقاربان ببطن العقيق، أحدهما عير الوارد، والآخر عير الصادر. وإلى الشرق من يثرب بقيع الغرقد، وإلى الجنوب قرية قباء التي تبعد عن يثرب بنحو ميلين مما يلي القبلة، وإلى الجنوب منها تقع قرية القرع على الطريق المؤدية إلى مكة.

ووادي العقيق من أخصب مناطق يثرب، ويبعد عنها من جهة الغرب بنحو ثلاثة أميال، وقيل بستة أميال، والعقيق مجموعة (أعقة)، أي أودية شقتها السيول. أحدها عقيق المدينة عق عن حرتها، وهذا العقيق الأصفر، ومنه بئر رومة.

وتقع بئر رومة إلى الشمال الغربي من يثرب على مسيرة ساعة منها بالقرب من مجمع الأسيال، في براح من الأرض، وكانت ملكا ليهودي في الجاهلية فاشتراها منه عثمان بن عفان بماله، وتصدق بها على المسلمين في عهد الرسول ﷺ[2].

---

(١) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٣. تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبلي ١٨٥ المدنية في العصر الجاهلي ـ الخطراوي ص٢٤.

(٢) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٥. مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ص٤٠٧. تاريخ العرب في الجاهلية الجبيلي ١٨٦. دراسات في تاريخ العرب ـ بيومي ص٤٣٥. مختارات من صبح الأعشى ٥/ ٢٧٩. الروض الأنف ١/ ٣٥ حيث أن فكيهة كانت تَمُدُّ عند محاصرته المدينة الماء من بئر رومه.

وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية (بئراً) ليهودي يبيع ماءها للمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري (رومة) فيجعلها للمسلمين؟ يقترب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة».

فأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت جعلت لنصيبي قربين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم. فقال: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك قال: أفسدت علي ركيتي فاشتر النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم. وهـذه البئـر في أسفـل وادي العقيق قريبة من مجمع الأسيال في براح واسع من الأرض[1] ويحيط العقيق بيثرب أيضاً من جهة الجنوب الغربي، ولكنه بعيد عنها من هذه الجهة، فهو يقع بعد قباء إلى الشمال من وادي النقيع، وكانت تشغله غابات كثيفة، أما من جهة الغرب فكان يمتد إلى ما بعد ذي الحليفة عند آبار علي. وكان الرسول ﷺ قد أقطعه بلال بن الحارث المزني ثم أقطعه عمر رضي الله عنه الناس.

ومن وديان المـدينة أيضاً وادي بطحان، ويقع إلى الغرب من يثرب، ووادي رانون ويبدأ من جبل عير قبلي المدينة، ويمبر بقباء، ثم يختلط بوادي بطحان.

ومن أوديتها أيضاً (وادي مذينيب) في الجنوب الشرقي، وهو شعبة من بطحان ووادي قناة، ويقع إلى الشمال الشرقي من يثرب.

ووادي مهزور في الجنوب الشرقي ويأتي من الحرة الشرقية حرة واقم، وبالعتيق عرصتـان همـا عرصة البقل، وعرصة الماء، وثلاث جماءات هي جماء تضارع، وجماء أم خالد، وجماء العاقر.

والعرصة: أرض فضاء متسعة لا يقوم فيها بناء، أما الجماء فهضبة مسطحة لا

---

(١) مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ١ / ٤٣٠.

قمم لها والعرصتان من أكرم بقاع المدينة[1].

الحرات:

أما حرات يثرب فهي ثلاث:

حرة واقم في الشرق: وهي من أشهر حرات بلاد العرب، وتربتها من أخصب بقاع يثرب. وذكروا أن واقم اسم رجل من العماليق سميت به. وقيل أنه اسم أطم من آطام بني عبد الأشهل إليه تضاف الحرة، وكانت تسكن أرض هذه الحرة بطون من الأوس منها بنو عبد الأشهل، وبنو ظفير، وبنو معاوية، كما كانت تسكنها أيضاً قبائل من يهود بني قريظة والنضير، وبهذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد سنة ٦٣هـ[2]، وعرفت أيضاً بحرة قريظة لأنهم كانوا ينزلون بطونها القبلي، كما عرفت أيضاً بحرة زهرة لمجاورتها لها. وزهرة من أعظم قرى يثرب بين حرة واقم والسافلة.

حرة الوبرة في الغرب من يثرب، وعرفت بحرة بني بياضه، وكانت على بعد ثلاثة أميال من يثرب مشرفة على وادي العقيق الذي يليها غرباً.

ثم حرة قباء وتقع إلى الجنوب من يثرب.

إلى جانب هذه الحرات هناك ثلاث حرات أخرى بالقرب من يثرب هي حرة شوران وحرة النار بالقرب من حرة ليلى[3].

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٥. مكة قبل الإسلام ص٢٢. تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٨٤.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٦.

(٣) تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٨٥. تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٦.

بيوت يثرب :

يظهر من روايات أهل الأخبار عن البيوت أن في بيوت يثرب بيوت تكونت من طابقين أرضي وطابق علوي، وكانوا يسكنون الطابقين، ولعلهم كانوا يودعون مواشيهم ودوابهم الطابق الأرضي، أو مواضع ملحقة بهذا الطابق. (وكانت دار أبو أيوب الأنصاري التي نزل بها الرسول ذات طابقين، نزل الرسول ﷺ بطابق وسكن أبو أيوب الطابق الثاني)[1].

الآبار والعيون :

وأشهر آبار المدينة عدا بئر رومة.

١- بئر أريس: وتسمى بئر الخاتم وبئر التفلة، وهي داخل حديقة وعمقها ١٣م وفي أسفلها فتحتان يجري منهما الماء إلى قاع البئر، وفتحة ثالثة تصلها بمجرى العين الزرقاء التي يشرب منها أهل المدينة. وأريس الذي سيمت البئر باسمه رجل من اليهود ومعناه بلغة الشام (الفلاح) وتسمى بـ (الخاتم) لأن بها وقع خاتم الرسول ﷺ أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: كان خاتم رسول الله ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر. قال: فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط . قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده. وكان ذلك بعد ست سنين من خلافته.

وثبت عن ابن عمر في صحيح مسلم أنه سقط من يدي معيقيب وهو دُوْسيٌّ من أصحاب الهجرتين وفي صحيح البخاري حديث طويل فيه أن النبي ﷺ ذهب إلى بئر أريس فتوضأ فيها وجلس على كتفها (المرتفع منها) وكشف عن ساقيه وأدلى بهما في البئر، وأن أبا هريرة تبعه إليها، وثلثهما أبو بكر، وأتى بعده عمر ثم عثمان فتوضئوا جميعاً وجلسوا عليها كما جلس رسول الله ﷺ.

---

(٣) جواد علي - تاريخ ١٧/٥.

وتسمى هذه البئر أيضاً بئر التفلة، ويقولون أن النبي ﷺ تفل فيها فعذب ماؤها بعد أن كان أجاجاً، وقد ذكر الغزالي هذا في إحياء علوم الدين، وقال العراقي مخرج أحاديث الكتاب أنه لم يقف على أصل حديث تفله ﷺ في بئر أريس[1].

٢ـ بئر الأعواف: وهي إحدى صدقات النبي ﷺ.

٣ـ بئر أنا: وهي التي ضرب رسول الله ﷺ قبته عليها حينما حاصر بني قريظة وشرب منها، وهذه البئر غير معروفة الآن، وربما كانت معروفة بالمدينة باسم غير هذا الاسم.

٤ـ بئر أنس بن مالك بن النضر، وتضاف أيضاً لأبيه، وهي التي ورد ذكرها في حديث أنس الصحيح قال: أتانا رسول الله ﷺ في دارنا هذه، فاستسقى فحلبنا شاة لنا ثم شِبْتُه من بئرنا هذه فأعطيته فشرب وعمر بين يديه، وأبو بكر عن يساره وأعرابي عن يمينه، فأعطى الأعرابي فضله وقال: الأيمن فالأيمن. وهذه البئر الآن تعرف ببئر الحضارم، وهي في رباط شمالي الحديقة المعروفة بـ (العينية) ويقرب البئر قبة على قبر يزعمونه قبر (عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم أبي النبي ﷺ).

٥ـ بئر بضاعة: في منتهى عمار المدينة من جهة الشمال، وهي التي كان يلقى فيها لحوم الكلاب والمحائض وعذر الناس. وسئل ﷺ عن الوضوء فيه فقال: «الماء طهـور لا ينجسه شيء» ـ روى ذلك أحمد والنسائي وصححه، والترمذي وحسنه والدارقطني وأبو داوود وابن ماجة ـ وزاد إلّا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه.

وفي رواية للبيهقي، الماء طهـور إلّا إذا تغيّر ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه، وفي رواية النسائي عن أبي سعيد قال: مررت بالنبي ﷺ وهو يتوضأ من بئر بضاعة فقلت: أتتوضأ منها وهي يطرح فيها ما يكره من النتن. . ؟ قال: «الماء لا ينجسه شيء».

---

(١) مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ١/٣٩٨.

٦ـ بئر بيرحاء: هذه البئر شمال المدينة بعد سورها شرقي بئر بضاعة ولكن يفصل بينهما بئر بضاعة، وكان رسول الله ﷺ يستعذب ماءها، وكانت في بستان لأبي طلحة وقفه على أقاربه وبني عمه كما دل على ذلك حديث البخاري في كتاب الأشربة (باب استعذاب الماء).

روى عن أنس أنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري في المدينة مالاً من نخل، وكان أحب ماله إليه (بيرحاء) وكانت مستقبلة المسجد ـ المسجد قبلها ـ وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت آية ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وأنا أحب مالي إلي (بيرحاء) وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ ذلك مال (رابح أو رايح) ـ شك من الراوي ـ وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه.

٧ـ بئر رومه: وقد مرَّ ذكرها بالحديث عن وديان يثرب.

٨ـ بئر غرس: وهي بئر بقباء في شرقي مسجدها على نصف ميل من جهة الشمال. روى ابن حيان في كتاب الثقات عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ائتوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ[2].

وفي المدينة آبار أخرى مثل بئر القويم وهي من أكبر آبار المدينة، وبئر

(١) سورة آل عمران آية (٩٢).

(٢) حديث الآبار التي كان النبي ﷺ يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار، تخريج الأحاديث وتصحيحها في إحياء علوم الدين ١/ ٢٦٠ من المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار.

العباسية، وبئر العقيق، وكان أهل المدينة فيما سلف يهدون مياه البئر الأخير إلى أمراء الشام.

هذه هي الآبار التي عليها معول أهل المدينة في سقي أراضيهم ومواشيهم. أما مياه الشرب لأنفسهم فيأخذونها من عين الأزرق، أو العين الزرقاء على ما هو مشهور في عرفهم وهذه العين منشؤوها بئر بقباء غربي مسجدها وتعرف بالجعفرية اجراها إلى المدينة مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة بأمر منه مشاربها حتى مصلى الأعياد[1].

وفي ضواحي المدينة عدا العين الزرقاء عيون وادي حمزة التي تبلغ الأربعين عيناً أو تزيد وحقيقة هذه العيون آبار فتح بعضها على بعض فتكونت منها مجاري ضيقة ومنشؤها شرق المدينة حيث الأرض عالية وتسير مغربة نحو حمزة ثم إلى غربي المدينة حيث الأرض هناك واطئة.

ومن عيون المدينة عين السلطان وتجري بحذاء عين الأزرق في مجرى دون مجراها، وماؤها ملح، والغرض منها تطهير مجاري المدينة وسحب القاذورات خارج البلد[2].

المناخ:

والمناخ في يثرب شبيه بمناخ مكة فهو شديد الحرارة صيفاً وبارد شتاء، وتسقط أمطارها في أوقات قصيرة ولكنها بعنف محدثة سيولاً في كثير من الأحيان. فقد سال وادي مهزور من بدايته عند حرة سوران والتقائه مع وادي بطحان في زغابة ملتقى السيول، وسال هذا الوادي في خلافة عثمان بن عفان سيلاً عظيماً على المدينة خشي منه عليها من الغرق فأقام عثمان الردم الذي يقع عند بئر مِدْرى لرد السيل عن

---

(١) حديث طويل حول هذه العين مرآة الحرمين ١/ ٤٣١-٤٣٣.

(٢) مرآة الحرمين - إبراهيم رفعت ١/ ٤٢٨-٤٣٤.

المسجد وعن المدينة. وسال مرة أخرى في خلافة أبي جعفر المنصور، فندب والي المدينة الناس لصرف مياهه في وادي بطحان[1] وتتخلف عن هذه الأمطار غدران ومستنقعات وبرك، ومن أشهر الغدران في وادي العقيق - غدير السدر وغدير يرخم، وغدير سلاقة، وغدير البيوت، وغدير حصير، وغدير المجاز، وغدير المرسي.

وينشأ عن ركود المياه في هذه المناطق انتشار الأوبئة والأمراض[2].

وظاهرة انتشار الأوبئة والأمراض بالمدينة من الظواهر المألوفة فيها، فقد قدم الرسول وأصحابه إلى المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها وحول وباءها إلى الجحفة»[3]. فالمدينة كانت على حد قول بلال «أرض الوباء» وكان سبب هذه الحمى أن مياه بطحان كانت أجنة وروى ابن اسحاق: أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرفه الله عن نبيه ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم اعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت، كيف تجدك يا أبت! أي كيف تجد نفسك..؟ فقال:

كُلُّ امرىءٍ مُصْبح في أهلِهِ   والموتُ أدْنَى من شراكِ نعلِهِ

فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول. ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

---

(1) تاريخ العرب قبل الإسلام - السيد عبدالعزيز ص٣٣٧.

(2) تاريخ العرب في الجاهلية - الجميلي ص١٨٥.

(3) السيرة - ابن هشام ٢/٢٣٩.

لَقـد وَجَـدْتُ المَـوْتَ قَبْـلَ ذَوْقِـه   إنَّ الـجَـبَـانَ حَتْـفُـه من فَوْقِـه
كُل امـرِئٍ مُجـاهِـدٌ بِطَوْقِـه   كَالـثَّـورِ يَحْـمـي جِلْدَه بِرَوْقِـه

قالت: فقتل ما يدري عامر ما يقول. وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

الا لَيْتَ شِعْـرِي هل أبـيتـنَّ ليلة   بِفَـخٍ وَحْـولـي أَذْخُـرٌ جَلِيلُ
وهـل أرِدَن يومـاً مِياه مِجَـنَّـة   وهَـلْ يَبْـدونَ لي شَامـةٌ وطَـفِـيلُ

ويجمع الأخباريون على أن الوباء كان شديداً عند دخول النبي إلى يثرب، وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة قال: وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية(١).

وقد حدث أن غابت الأمطار وعزّت على المدينة فترة طويلة، ولكنها لم تلبث أن جاءت بعد أن صلّى النبي بالمسلمين صلاة الاستسقاء، وامتد سقوطها اسبوعاً حتى بدأت بعض بيوت المسلمين تنهار، وانقطع المرعى عن الماشية بسبب كثرة مياه الأمطار فاضطر الرسول ﷺ أن يسأل الله اللطف ورفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم حوالينا ـ أي أنزل المطر حوالينا ـ ولا تنزله علينا ـ والمراد صرفه عن الأبنية»(٢).

وقد تكلمت قريش عن المسلمين في عمرة القضاء بأن حمى يثرب قد أكلتهم، باعتبار أن هذه الحمى معروفة للناس تماماً. فأمر الرسول ﷺ أن يكشف المسلمون سواعدهم اليمنى وهم يطوفون حول الكعبة وهذه السواعد هي المقابلة لقريش حتى يروا مبلغ قوتهم وعزيمتهم، وأن حمى يثرب قد زالت وبارك الله فيها.

---

(١) تاريخ العرب ـ سيد عبدالعزيز ص٣٣٠.
(٢) المصدر السابق ص٣٣٧ عن كتاب الإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ القسطلاني ٣٧٢/٢.

وجو يثرب على العموم خير من جو مكة فهو ألطف وأفرح، ولم يعان أهلها ما عانى أهل مكة من قحط في الماء ومن شدة في الحصول عليه، حتى بعد حفر بئر (زمزم) فالماء متوفر بعض الشيء في المدينة وهو غير بعيد عن سطح الأرض، ومن الممكن الحصول عليه بسهولة بحفر آبار في البيوت ولهذا صار في إمكان أهلها زرع النخيل وإنشاء البساتين والحدائق والتفسح فيها، والخروج إلى أطراف المدينة للنزهة، فأثر ذلك في طباع أهلها فجعلهم ألين عريكة وأشرح صدراً من أهل البيت الحرام[1].

وهذا دليل على أن المياه الجوفية متوفرة في يثرب بكثرة، وذلك من عدد الآبار والينابيع الكثيرة في المدينة والتي ورد ذكرها، وكذلك الأسيال والأودية التي تمر بقربها وبها، تحمل المياه والسيول عند هطول الأمطار على جبال سراة الحجاز، ولذلك اعتبرت من المناطق الزراعية الهامة التي حصل عليها نزاع كبير في الجاهلية.

ويثرب مثل مكة من شعاب تسكنها بطون الأوس والخزرج، الأوس في شعاب والخزرج في شعاب، واليهود في شعاب، وفي الشعاب حوائط (بساتين صغيرة) وفي الحوائط (آبار) يستقون منها للشرب وللسقي وللغسل، كما كانت فيها دور مبنية بالآجر، ودور مبنية باللبن، وبعضها ذو طابقين، وقد احتفر اليهود آباراً كانوا يبيعون الماء منها بدلاً مثل بئر رومة.

ويثرب على شاكلة مكة بغير سور ولا حائط يحيط بها، ولا خندق يقف حائلاً أمام من يريد بالمدينة سوءاً، وقد كان عماد دفاع أهلها التحصن في بيوتهم وبسد منافذ الطرق في أثناء الخطر، والأغنياء والموسرون يعتمدون على آطامهم وحصونهم وقصورهم، يلجؤون إليها عند الشدة ومن معهم من أتباعهم يرمون أعداءهم من فوق

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٤/١٣٢.

السطوح بالسهام وبالحجارة، إذ لا حائط يحيط بها على نحو ما كان لمدينة الطائف. وقد تحارب الأوس والخزرج على الآطام، وأرخو بتلك الحرب، وصاروا يؤرخون بـ (عـام الآطـام) وذكـر أن أهـل المدينة من الأوس والخزرج كانوا يمتنعون بها، فأخربت أيام عثمان رضي الله عنه(١).

ويظهر من وصف أهل الأخبار ليثرب أنها كانت بشبه مدينة (الحيره) بالعراق من حيث خلوها من سور، ومن تكونها من (قصور) وهي بيوت السادة ومعاقل المدينة ومواضيع دفاعها آناء الشدة وأوقات الحروب.

وقد عرفت بـ (أطم) و (آطام) عند أهل يثرب. وذكر أن (الأطم) كان حصن بُني بحجارة، أو كل بيت مربع مسطح. وورد أن (الأطوام): القصور والحصون لأهل المدينة والأبنية المرتفعة كالحصون(٢).

وقـد كان يهـود الحجـاز الساكنون في شمال المدينة قد حصنوا قراهم بآطام يلجأون إليها، ويجتمعون بها أيام الخطر، وقد عرفت هذه الحصون عندهم (بآطام) وواحدها (أطْم)، وأما القرية فهي (قرية) في العبرانية وتسمى بـ «قريتا» (KERITHA) في لغة بني ارم.

ويقال للحصن (الأجم) والجمع (آجام) وقد ورد ذكر الاجم في شعر امرىء القيس:

وتيمـاءُ لم يُتْـرَك بِهـا جِذْعَ نَخْـلَة ... ولا أجـمـا إلا مشـيداً بَجَـنْـدَلِ

ويقال للحصن (الأطم) كذلك والجمع (آطام). ولا تزال آثار آطام الجاهلية باقية في الحجاز ونجد، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب وفي وادي (الحفر)

---

(١) الأغاني ـ الأصبهاني ١/١٤.

(٢) تاج العروس ٨/١٨٧ (اطم). اللسان ١٢/١٩ (حاشية من جواد علي ٤/١٣٢).

بنجد ويعرف (بحضر بني حسين) آثار قصور وآطام جاهلية وآبار كثيرة.

وذكر بعض علماء اللغة أن (الآطام) القصور والحصون، وخصصها بعض آخر بالدور المسطحة السقوف وقد اشتهر (الأبلق) وهو حصن (السموأل بن عادياء) في التاريخ، وهو في تيماء، وورد اسمه في شعر للأعشى مدح به السموأل.

وكانت الأوس والخزرج تتمنع بالآطام وتحارب عليها، وقد أرخت بحرب وقعت فيما بينهم بها فقالوا (عام الآطام) وقد اخربت في أيام عثمان رضي الله عنه.

ويقال للأطم (الأجم) أيضاً. فكانت الآطام هي وسائل الدفاع عند أهل يثرب إذ لم يكن حولها سور يحميها من غزو الأعداء، فكانوا إذا حوصروا، أو وقع عليهم غزو لجأوا إلى آطامهم يتحصنون بها، ويقذفون من أعاليها بما عندهم من وسائل دفاع لمنع العدو من الدنو منهم وإلحاق الأذى به. وهي جملة آطام تملكها البيوتات العريقة، وسادات الشعاب المكونة ليثرب، والقائمة على أساس التقسيم العشائري.

والآطام: بيوت السادات ورؤساء القوم، يلجأ إليها الناس للدفاع عن أنفسهم وعنها وقت الخطر، ويظهر من شعر (أوس بن صفراء):

بَثَّ الجُنُـودُ لهُم في الأَرَضِ يَقْتُلهم ما بينَ بصـرى إلىٰ آطَـامِ نَجْـران

أن نجران كانت ذات آطام كذلك[1].

والمدينة عند وادي (أضم) يقال للقسم الذي هو عند المدينة منه (القناة) والني هو أعلى منهـا عند السد، (الشظاة)، أما ما كان أسفل ذلك فيسمى (آخرا) إلى البحر، وذكر أن اضم عبارة عن واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، وأعلى أضم القناة التي تمر دوين المدينة[2].

---

(١) جواد علي - تاريخ ٥/ ٤٥١-٤٥٢.

(٢) تاج العروس ١٨٧/٨، اضم حاشية جواد علي - تاريخ ١٣٢/٤.

وإن المدينة هي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وما بين الماء الذي يقال له (البوا) إلى (زبالة)[1].

يتبع المدينة قُبَاء.

قُبَاءُ، بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الأخر، ويروى بالمد والقصر، والمد أشهر قال في (الروض المعطار) ومن العرب من يذكره فيصرفه، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه قال: وسميت قباء ببئر كانت بدار توبة بن الحسن بن السائب بن أبي لبابة يقال لها (قباء).

وهي قرية غرب المدينة على ميلين منها، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[2].

وقد روى أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء كل يوم سبت راكباً أو ماشياً ومصلاه بها مشهور[3].

ويتبع المدينة أيضاً ـ عدا قباء ـ قربان والعوالي، وكلها جنوب المدينة وتعتبر من ضواحيها، وفي شمالها العيون والبركة عند مسجد حمزة، وهي من الضواحي، والحناكية ثم خيبر وهما بعيدان عن المدينة في شمالها الشرقي. وكانت خيبر في صدر الإسلام دار لبني قريظة، وبني النضر (من يهود)[4]. وبها كان السموأل بن عاديا الشاعر المشهور، وهي بلدة عامرة آهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى.

وعلى مقربة من خيبر (فدك)، التي صالح أهلها النبي ﷺ على النصف من ثمارها سنة أربع من الهجرة، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فكانت

---

(١) الأعلاق ـ ابن رسته ٦٣ جواد علي ـ تاريخ ١٣٢/٤.

(٢) سورة براءة آية (١٠٨).

(٣) صبح الأعشى ـ للقلقشندي ٢٨٤/٥.

(٤) (   ) زيادة عن الأصل.

له ﷺ خالصة ينفق منها في المصالح العامة. وكان معاوية قد وهبها لمروان بن الحكم، ثم ارتجعها منه لموجدة وجدها عليه، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة ردها إلى ما كانت عليه زمن رسول الله ﷺ. وكانت تغل في أيام إمرته عشرة آلاف دينار، وكان يتجافى عنها.

وتتبع المدينة (الفقرة) وهي قرية على جبل عال منيع، وبينها وبين المدينة مسيرة ٢٤ ساعة، ومياهها ومزارعها في الجبل، ولا يعرف مسالكها إلا سكانها، حيث يسكنها الأحامدة الآن أقوى القبائل وأعتاها.

ثم (الحمراء) و(الصفراء) و(ينبع النخل) وينبع البحر. الحمراء على مسافة ٣٣ ساعة ونصف من المدينة ومسيرة ٢٥ ساعة من ينبع البحر وبها كثير من النخيل.

والصفراء على مسيرة ١٢ كم من مدينة ينبع البحر وتشتهر بـ (الخيف) جمع (أخياف) و(خيفا)، وهو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء[١].

(وَدَّان)، بفتح الواو تشديد الدال المفتوحة ثم ألف ونون، وهو واد به قرى خراب لا تحصى كثرة.

و(الفُرْع)، بضم الفاء وسكون الواو المهملة، وبالعين المهملة، وهو وادي في جنوبي المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قرى آهلة. أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية، وماؤها يصب في رابغ حيث يُحرم حجاج مصر، وعليها طريق المشاة من مكة إلى المدينة. قال في (الروض المعطار) ويقال إنها أول قرية مارت إسماعيل عليه السلام التمر. وهي الآن بيد بني حرب[٢].

و(الجَارُ) قال في اللباب بفتح الجيم، وألف وراء مهملة ـ وهي فُرْضة المدينة الشريفة على ثلاثة مراحل منها. قال ابن حوقل وبينها وبين ساحل الجحفة نحو

---

(١) مرآة الحرمس ـ إبراهيم رفعت ١/٤٤٦. (٢) زمن المؤلف.

ثلاث مراحل، منه عن أَيْلَةَ نحو عشرين مرحلة.

«وادي القُرَى» بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر: جمع قرية - قال في (الروض المعطار) وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون، وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الغالبون عليها(١). وتعرف «بالواديين» والذي أخبرني به بعض أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدة قرى، فخربت لاختلاف العرب، وهي الآن خراب لا عامر بها(١)، ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها. قلت: وبالغ الأدريسي في «نزهة المشتاق» فعد من مخاليفها تيماء ودومة الجندل ومدين والتحقيق خلاف ذلك .

الأماكن المقدسة في يثرب:

لم يُشر أهل الأخبار إلى وجود حرم أو بيت بيثرب كان يتعبد فيه اليثربيون، ويتقربون إليه بالنذور، مع أنهم أشاروا إلى بيت اللات في الطائف ويثرب مثل الطائف. ومثل مدن أخرى ذات محجات ومعابد، وقد كان أهل يثرب مثل غيرهم من المشركين يتقربون إلى الأصنام. وكانوا يحفظون أصناماً لهم في بيوتهم يتقربون إليها. كما كانوا يحجون إلى محجات كانت على مسافة من يثرب، ولذلك يبدو غريباً سكوت أهل الأخبار عن ذكر بيت في هذه المدينة يحج إليه الأوس والخزرج ومن والاهم من قبائل وعشائر(٢).

هذه بعض الأخبار المتعلقة بمدينة يثرب، وعلى الرغم من تشابه الكثير من هذه الأخبار فإن بعضاً منها ضروري لدراسة سكان المدينة بعد ذلك، وضروري أيضاً للتفصيل في حياتهم ومعاشهم وحروبهم. وما يزال الكثير غير معروف من هذه المدينة، حتى يقال أن يثرب عند قيام بعض الحفريات فيها حديثاً وجد أنها مدينة

---

(١) صبح الأعشى - القلقشندي ٥/ ٢٨٦-٢٨٨. (٢) جواد علي - تاريخ ٤/ ١٣٠.

مبنية على مدينة أقدم منها لم يكشف النقاب عنها بعد. وهذا ما جعل أكبر مؤرخي العصر الجاهلي يقول: وتاريخ المدينة مثل سائر تواريخ هذه الأماكن التي نتحدث عنهـا (مناطق الجزيرة العربية ـ مكة ـ الطائف. .) مجهول لا يعرف من أمره شيئاً يذكر، وإنما يذكره الأخباريون عن وجود العماليق وجرهم بها فأمر ـ وإن قالوه ـ لا يستند إلى دليل، وحكمه حكم الأخبار الأخرى التي يروونها، والتي عرفنا نوع أكثرها وطبيعته.

ولكن الشيء الذي نعرفه يقيناً أن أهل المدينة كانوا ينتسبون عند ظهور الإسلام إلى يمن، وكانوا يقسمون أنفسهم فرقتين الأوس والخزرج، وبين الفرقتين صلة قربى على كل حال، ثم يذكرون أنه كان بينهم يهود، وهم على زعمهم من قدماء سكان يثرب[1] ويضيف بعض الباحثين الآخرين تأكيداً على هذا الرأي والقائل بعدم وجود أسانيد قوية لتاريخ يثرب القديمة فيقول:

ومن أسف أن تاريخ يثرب القديم مجهول، فلا توجد مدونات يمكن الرجوع إليها، ولم تقم بها حفريات علمية يمكن أن تقدم لنا معلومات ذات قيمة في تاريخ المدينة المقدسة القديم، وإن كانت هناك حفريات قد أجريت دون أن يقصد بها ذلك الهدف العلمي ـ كالتي حدثت في الأعوام ١٣٣٣هـ، ١٣٣٥هـ، ١٣٥٢هـ في أحد البساتين، وأبان حفر أساس القسم الشمالي لمدرسة العلوم الشرعية الواقعة بقرب باب النساء، وفي المناخية جنوب السيل، إلّا أنها قد كشفت عن بعض أشياء قد تشير إلى أن المدينة الحالية، إنما قامت على أنقاض مدينة أخرى ـ الأمر الذي أشار إليه (السمهودي) منذ القرن التاسع الهجري، ومن ثم فإن معلوماتنا الحالية إنما تعتمد في الدرجة الأولى على روايات الأخباريين[2].

---

(١) المصدر السابق ٤/١٣٣.

(٢) دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ص٤٣٦.

مناقب المدينة :

وأما المدينة الشريفة فهي «دار الهجرة» و«ذات الروضة والحجرة» وثبت أنه ﷺ قال: «إِنَّ الإيمَانَ ليأْرِزُ - أي يَنْظَمُّ بتَقْدِيمِ الرَّاء عَلَىٰ الزَّايِ - إلَى المدينة كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلىٰ حُجْرِها» - متفق عليه -.

وأنه ﷺ قال: «المدينةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إلى كَذَا». ولِمُسلمٍ، مِن عَيْرٍ إلىٰ ثَوْرٍ لا يُقْطَعُ شَجَرُهـا، وَلاَ يُحـدَثُ فِيهَـا حَدثٌ، مَنْ أَحـدَثَ فِيهَـا حَدَثاً فَعَلَيهِ لَعْنَةُ الله والمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

و«ثور» جبل صغير خلف أُحد من جهة الشمال[1].

ولأحمد ما بين عير إلى أحد (وعير مقابل لأُحد).

فضائل المدينة الشريفة: وأنه ﷺ قال: «المَدِينةُ تَنْفي (خُبْثَ أو خَبَثَ) الناسِ

---

(١) إن تعريف ابن الـدَّيبَـع الشيبـاني «جبـل ثور» على هذا النحـو يتفق مع الحقيقـة الـواقعـة وهو ما يتفق مع قول رسول الله ﷺ في تحديد حرم المدنية في الحديث الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه: المدينة حرم ما بين عير وثور. ولقد توهم أبو عبيد البكري م ٤٨٧هـ في كتابه (معجم ما استعجم) وابن الأثير الجزري م ٦٠٦ هـ في كتابه «النهاية في غريب الحديث» وياقوت الحمـوي م ٦٢٦هـ في كتابه «معجم البلدان» بنكران وجود جبل بهذا الاسم في المدينة، وتأكيد وجوده في مكة. وهو الجبل الذي يحتوي على غار ثور الذي أوى إليه الرسول ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة (فتوح البلدان - البلاذري ص٢٢-٢٣). والحقيقة التي لا لبس فيها أن في حدود حرم مكة جبلاً بهذا الاسم وفي حدود حرم المدينة جبل بالتسمية ذاتها، ولذلك لا لزوم لكل التأويلات التي أخذ بعضهم في شرح هذا الحديث. ولقد أولى المرحوم محمد فؤاد عبـدالبـاقي هذا الموضوع كل العناية في البحث لدفع هذا الخطأ، وجاء بشتى الأدلة والأقوال التي تزيل الارتياب وتثبت الحقيقة معتمداً على ما أورده القدامى في هذا الموضوع وما أخذ به المحدثون واظهروه في دراساتهم الطبوغرافية لحرمي مكة والمدينة مما يصح الرجوع إليه - صحيح مسلم ٢ / ٩٩٥-٩٩٨ حاشية (٤).

كما تَنفي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ» ـ متفق عليه ـ.

وأنـه قال ﷺ: «على أنْقَـابِ أهـلِ المـدينـةِ مَلائكـةٌ لا يَدْخُلها الطاعونُ ولا الدَّجَّالُ» ـ متفق عليه .

وأنــه ﷺ قال: «صـلاةٌ في مَسْجِـدي هذا خَيْرٌ من ألفِ صلاةٍ فيمـا سواهُ إلا المسجِدَ الحَرَامَ» ـ متفق عليه ـ.

وأنـه ﷺ قال: «مـا بَيْنَ بَيْتي وَمِنْبَـري روضَـةٌ مِنْ رياضِ الجنةِ ومنبري عَلَىٰ حَوْضِي» ـ متفق عليه ـ.

ولا خلاف بين العلماء في أن هذين البلدين «مكة» و«المدينة» أفضل بلاد الله على الإطـلاق، وإن اختلفـوا في أيهمـا أفضل، فالجمهور على تفضيل مكة على المدينة إلا موضع قبره الشريف، فأجمعوا أنه أفضل تربة في الأرض لما ورد أن كلا يدفن في تربته التي خلق منها.

وهو ﷺ أفضل الخلق، فتربته أفضل تربة في الأرض، وأفضل موضع في مكة، الكعبـة، ثم المسجـد، ثم دار خديجـة رضي الله عنهـا لأنـه أقام فيها نحو ثمانية وعشرين عاماً.

وما أحسن قول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في وصف تلك الرياض ـ أعني مكـة والمـدينـة ـ «وجـدير بمـواطن عُمِّـرَت بالـوحي والتنزيل، وتردد في عرصاتها (عرصة، وهو كل موضع واسع لا بناء فيه) «جبريل»، وعرجت (عرج: صعد) منها الملائكة والروح وضجت فيها (ضج: ارتفع الصوت) بالتقديس والتسبيح، أن تعظم عرصاتها، وتتنسم (تنسم: طلب النسيم واستنشقه) نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدرانها مدارس الآيات ومشاهد الفضل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك (منسـك: متعبـد) الـدين، ومواقف سيد المرسلين، حيث انفجرت النبوة والرسالة

وفـاض عبـابهـا (العبـاب: كغـراب ـ معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه ـ وأول الشيء)، وأول أرض مس جلد المصطفى ﷺ ترابها». [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنـه يقول: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى. يقولون يثرب. . وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»[2]. قال يونس: قال لنـا ابن وهب: قلت لمـالك: ما تأكل القرى؟ فقال: تفتح القرى (فتحت مكة بالمدينة وما حول المدينة بها لأنها تأكل القرى أكلًا إنما تفتح القرى بالمدينة.

وقال الغزالي[3]: فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله ﷺ في طريقه كثيراً، فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقايةً من النار، وأماناً من العذاب، وسوء الحساب. وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة، وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه، فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظماً وليقل:

بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدخَلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَٱجعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيْراً﴾[4] صدق الله العظيم. إلخ . .

(1) حدائق الأنوار ـ الشيباني قسم ١/ ٨٦-٩٠.

(2) متفق عليه ـ البحاري ٣/ ٢٦ ومسلم ٢/ ٤٨٨.

(3) إحياء علوم الدبن ـ الغزالي ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(4) سورة الإسراء آبه (٨٠).

سرد تاريخي للحياة في يثرب

السكان :

أشارت الدراسات والاكتشافات في يثرب على أن هذه المدينة ربما تكون مبنية على أنقـاض مدينة غيرها، وهذا يدل دلالة واضحة على قدم وجود الناس في هذه المنطقة منذ عصور مغرقة في القدم.

والروايات التي بين أيدينا تشير إلى أن الذين تعاقبوا على هذه المدينة العرب من العمـاليق، فاليهـود، فالعـرب من اليمن، ثم المسلمون، حيث خلصت منذ فجر الإسلام لتصبح عاصمة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم.

السكان القدماء «العماليق» :

كان أول من نزل بيثـرب هـم العمـاليق، فأقـامت فيها قبائل منهم: بنو هف، وسعـد بن هفـان، وبنـو مطرويل[1] ثم سكنهـا بعدهم اليهود، وبعد السيل العرم، وانهيار سد مأرب قدمت إلى يثـرب قبـائـل الأوس والخـزرج فانتشـرت في جنوبها وشمالها في جبل أُحد[2].

يرى بعض الباحثين أن كلمة يثرب محرفة عن الكلمة المصرية «اتربيس» وعلى هذا الأساس يرجحون أن الذين بنوها إنما هم العمالقة بعد خروجهم من مصر، وإن كلمة «طِيبة» أحد اسماء المدينة «بكسر الطاء» كانت مستعملة قبل الإسلام مأخوذة

---

(١) تاريخ العرب ـ الجميلي ص١٨٨ .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص ٢٨٠-٢٨١ ، تاريخ العرب السيد عبدالعزيز ص٣٣٩ .

عن المصرية، وعليه أيضاً فعمران المدينة يبتدىء من سنة ١٦٠٠ق.م.

ولكن هذا الرأي لا يبدو مقبولاً تجاه الآراء الأخرى التي تدل على أن يثرب كانت موجودة قبل موسى عليه السلام عند الحديث عن نزول اليهود فيها.

نقل ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٥/٤٣ ـ وعمدة الأخبار للعباسي ص٣٣ عن أبي القاسم الزجاجي أن من أسماء المدينة «يثرب» وقال: إنها سميت بذلك لأن أوّل من سكنها هو «يثرب بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عبيل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام»[1].

فالذي يوحي مما سبق أن أول من نزل يثرب هو «يثرب» وهو من بني عبيل إخوة عاد من العرب البائدة، كما سكنها بعدهم أيضاً العماليق وهم «بنو عملاق» بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومنهم بنو هفان، وبنو مطرويل، وكان لهم ملك عظيم يدعى الأرقم بن أبي الأرقم الذي عرف بالقوة وشدة البطش والسلطان.

ويرى بعض الباحثين[2] أن كلمة عماليق مؤلفة من مقطعين هما (عم) بمعنى شعب أو أمة باللسان العبراني، و(ماليق) وهو اسم قبيلة عربية كانت مواطنها الأولى بجهات العقبة وشماليها، وعلى وجه الخصوص، ورد اسمها في كتابات البابليين. ونطق العرب بذلك الاسم بطريقتين، عماليق وعمالقة.

وقد كان العمالقة قوماً طوال الأجسام، طوال الأعمار، ويبلغ عمر الواحد منهم مئات السنين وهو أمر لا يؤمن به أولئك الذين يفصلون بين التاريخ والنبوات، ولا يستطيعون أن يتصوروا إنساناً يعيش مثل هذا العمر، أو حتى قريباً منه مهما كانت الظروف والأحوال، أما أنا كما يقول المؤلف ـ فإنه لا شيء يمنعني من تصديقه بعد أن أقرأ قوله تعالى عن نوح عليه السلام وقومه ﴿فَلَبِثَ فِيهِم أَلفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ

(١) المدينة ـ الخطراوي ص٢١-٢٣.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص٥١.

عَامًا﴾(١). وأقول كذب المؤرخون والباحثون، وصدق الله ورسوله. ولا يهمني بعد ذلك ما عسى أن يصفني به بعضهم من الغفلة والمسارعة إلى التصديق(٢).

إذن نرى أن بني عبيل أوّل من سكن المدينة وسميت «يثرب» باسم بانيها الأوّل الـذي ينتسب إلى قوم بادوا بعـذاب الله تعـالى، وحـل محل بني عبيل العماليق، فقصـدوا أرض الجحفـة ـ ناحية رابغ اليوم ـ فجاءهم سيل أجحفهم فيه فهي لهذا سميت جحفة ورثاهم رجل منهم فقال:

عَينُ جُودِي عَلَى عبـيل وهَـلْ	يَرْجَـعُ مَنْ فاتَ بِيضُـهـا بالسُّخـامِ
عَمَـروا يَثْـرِبـاً ولـيسَ بِهَـا شُفْـر	ولا صَـارِخٌ ذُو سِـنَـامِ
غَرَسُـوا لِينَـهـا بِمـجـرَى مَعَـينٍ	ثم حفّـوا الـنَـخَـيلَ بالآجـامِ(٣)

(١) سورة العنكبوت آية (١٤).

(٢) المدينة ـ الخطراوي ص٢٦.

لا أعلم ما الذي جعل الكاتب يتخذ هذا الموقف من تكذيب الباحثين والمؤرخين ويقرنها بصدق الله ورسوله. نعم صدق الله ورسوله، وكذب الأفاكون والمتأولون والدجالون. إن الباحثين المنصفين لا يعترضون إطلاقاً على أن تلك الأقوام قد عاشت أعواماً وسنين طويلة لا يعلمها إلا الله تعالى، كما لا ينكرون من تسمى بالعماليق بأنهم كانوا طوال الأجسام، طوال الأعمار والباحثون المنصفون يرفضون تلك المبالغات غير المعقولة أصلاً منها مثلاً: أن الأعوج بن عناق وقد عاصر سيدنا نوح عليه السلام كان يقف في البحر الذي يغمره إلى ركبتيه فقط، ويخرج الحيتان من البحر ويشـويها في الشمس ويأكلها. ومثل هذه المبالغات كثيرة في التوراة خاصة عندما تتحدث عن العماليق، ويصورون بني إسرائيل بأجساد عادية تمكنت رغم قصر قامتها وأعمارها من القضاء على هؤلاء العماليق الكبار كبار الأجسام طوال الأعمار وكان الأولى للمؤلف الذي قدم للمكتبة العربية بحثاً طريفاً عن المدينة أن يتحرى الحقيقة حتى يكون لكلامه الوقع الحسن في نفوس القراء. . وقد أورد نفس الخاطرة أعلاه في كتابه شرع الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ص٢٢.

(٣) السخام: اللين من كل شيء، أو الأسود. شفر: أحد. لينها: نخلها. ولعل المقصود بالاجام: الأطام ويروى اسحام، وهو شجر.

ويرى العياشي في كتابه المدينة بين الماضي والحاضر[1] من أن العماليق كانوا أسبق إلى المدينة من بني عبيل، وعليهم نزل اليهود، وكذا يرى ياقوت الحموي، وأنهم أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل، وعمر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع.

وكان العماليق فيما يبدو طبقتين، طبقة سابقة هي التي عناها العياشي، وفيها الملوك الطغاة الذين منهم الأرقم بن أبي الأرقم، وطبقة لاحقة لها صلة بنسب الأولى، ومنها، قبيلتا صعل وفالح وهي التي أجلت بني عبيل عن المدينة.

ويمكن بهذا نظرياً الجمع بين الروايات المختلفة في هذا الباب، وإن كان الأمر من وجهة النظر العلمية لا يزال محتاجاً إلى التدعيم بالوثائق، والإثبات بالأدلة المقنعة.

إن التوسع في ذكر أول من سكن يثرب يساعد كثيراً على تفسير بعض الظواهر التي قد تعترضنا عند تناولنا لأساسيات البحث، إذ أنه على افتراض انقراض العماليق، وبني عبيل مثلاً وانتهائهم من المدينة بالكلية، فليس من المعقول أن تمحى آثار وجودهم بسهولة، بل العكس هو المعقول تماماً، فلا بد من بقاء بعض بصمات حياتهم وعيشهم فوق هذه الأرض، حملها من خلفوهم من اليهود أو من الأوس والخزرج[1].

(عبيل): وعبيل مثل أميم لا نعرف من أمرهم غير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا أنهم إخوان عاد بن عوص، أو إخوان عوص بن ارم، وأنهم لحقوا بموضع اسمه (يثرب) حيث اختطوا يثرب، وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له «يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل».

---

(١) المدينة ـ الخطراوي ص ٢٦-٢٧ بتصرف.

وقد ورد في التوراة اسم ولد من أولاد (يقطان) هو (OBAL) (عوبال) أو (EBAL)[1] وهذا الاسم قريب من عبيل ولذلك رأى بعض علماء التوراة أن من الممكن أن يكون (عبيل) هو (عوبال).

ونجد في جغرافية بطليموس اسم موضع يُقال له (AVALITAE) على خليج يدعى بهذا الاسم (AVALITES SINUS) وعليه مدينة تسمى (AVALITES EMPORTION) وسكانها يعرفون باسم (AVALITES) وقد ورد هذا الاسم عند بلينيوس على صورة (ABLATIES). ويرى (فوستر) أنه من المحتمل أن يكون هؤلاء هم (عوبال) وقد يكون أبناء عوبال هم عبيل.

وذكـر أن في اليمن مكـاناً يقال له عبيل، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بـ (عبال) وهذان الإسمان قريبان من اسم عبيل[2].

أمـا بالنسبـة للعمـاليق الـذين أخـرجـوا عبيل من يثـرب فيقـول الأخباريون: (وعمليق) جد العمالقة هو شقيق (طسم)، ويذكرون أنهم كانوا أمماً كثيرة تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عُمان، أهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر ويعرف أهل عُمان والبحرين باسم جاسم، وجاسم هو من نسل عمليق على زعم أهل الأخبار.

وكان من العمالقة أهل المدينة ومنهم (بنو هف) و(سعد بن هزان) و(بنو مطر) و(بنو الأزرق) وكذلك سكان نجد ومنهم بديل وراحل وغفار وكذلك أهل تيماء.

وكان ملكهم (الأرقم) وهو من العمالقة، وهو من معاصري موسى عليه السلام على رواية الهمداني، وقد أرسل موسى عليه السلام جنداً لمقاتلته ففتك بأتباعه أهل تيماء وببقية عمالقة الحجاز.

ويذكر بعض أهل الأخبار أن (العماليق) لحقت بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء،

---

(١) الكتاب المقدس، الإصحاح الأول ٢٢، التكوين، الإصحاح العاشر ٢٨.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ١/٣٤٤.

ثم انحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها (عبيلاً)، وسكنوا ديارهم، وذهبت عبيل إلى موضع الجحفة فأقبل السيل فأجحفهم فذهب بهم فسميت (الجحفة).

وذكروا أن موسى أرسل جيشاً لحرب عماليق يثرب[1] ولم نجد في التوراة ذكر لمثل هذا الجيش أو الحرب.

والعمالقة الذين نتحدث عنهم عرب صرحاء من أقدم العرب زماناً لسانهم اللسان المُضَري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل الأخبار، بل زعم بعضهم أن عمليقاً هو أبو العمالقة أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل، فكان يقال لهم ولجرهم «العرب العارية»[2].

ويظهر من فحص هذا المروي في كتب الأخباريين عن العمالقة ونقده أنه مأخوذ من منابع يهودية، فقد ذكر العمالقة في التوراة، وقد كانوا أوّل شعب صدم العبرانيين حينما خرجوا من مصر متجهين إلى فلسطين، وظلوا يحاربونهم، ويكبدونهم خسائر فادحة وأوقعوا الرعب في نفوسهم، ولهذا ثار الحقد بينهم على العماليق، ويتجلى هذا الحقد في الآيات التي قالها النبي-صاموئيل لشاؤول أوّل ملك ظهر على العبرانيين قالها له باسم «اسرائيل» «إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل، والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود، إني افتقدت ما عمل عمليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر، فالآن إذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً».

وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالساميين. وقد كانت منازل العماليق (العمالقة) من حدود مصر فطور سيناء ففلسطين. وعدم ذكر العبرانيين لهم في جملة قبائل العرب، لا يدل على أنهم لم

---

(١) الطبري - تاريخ ١/ ٢٠٠.
(٢) جواد علي - تاريخ ١/ ٣٤٦.

يكونوا عرباً، فقد ذكرت أن العبرانيين لم يطلقوا لفظة (عرب) إلّا على الأعراب أهل البادية ولا سيما بادية الشام ثم أن العمالقة من أقدم الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون وحملوا حقداً عليها. وهم عندهم وفي نظرهم أقدم من القحطانيين والإسماعيليين[1].

ويقال: إن العمالقة أوّل من سكنوا المدينة أو يثرب، وظلوا بها حتى نزلها اليهود في القرن الثاني الميلادي على إثر الإضطهاد الروماني لهم[2].

وقد زعم أهل الأخبار أن العمالقة كانوا أصحاب عز وبغي شديد، وكانوا ينزلون الحجاز في جملة ما نزلوا من أماكن في أيام موسى، وكان منهم بنو هف، وبنو سعد، وبنو الأزرق، وبنو مطروق، وملكهم إذ ذاك رجل منهم اسمه (الأرقم) ومثلما تغلب عليهم العبرانيون انتزعوا منهم مساكنهم وأقاموا في مواطنهم في الحجاز[3].

وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب في أيام موسى، وما ذكروه عن إرساله جيشاً إلى هذه المنطقة، ثم ما رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز من سفر (صموئيل الأوّل) من التوراة.

فزعموا أن تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة وأن اليهود قد سكنوها لذلك منذ أيام موسى[4].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) تاريخ الأدب العربي ـ ضيف ص٥٣.

(٣) الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/ ٩٤. ابن هشام ـ السيرة ٢/ ١٧.

(٤) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥١٧.

القسم الثاني

١ ـ اليهود:

عرف اليهود عند الجاهليين، وورد ذكرهم في الشعر الجاهلي، ولا بد من وقوف الجاهلية على أحوالهم لأنهم كانوا يسكنون في مواضع عديدة معروفة تقع ما بين فلسطين ويثرب.

كما سكنوا في اليمن وفي اليمامة، وفي العروض، وكان تجار منهم يقيمون في مكة وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب للاتجار وإقراض المال بربا فاحش للمحتاجين إليه ومعارفنا عن يهود جزيرة العرب مستمدة من الموارد الإسلامية، والسبب في ورود خبرهم في هذه الموارد هو اصطدامهم بالإسلام، ومقاومتهم له فيما دعاهم الرسول إلى الدخول فيه، فنزل فيهم الوحي «وأشير إليهم في الحديث» وذكروا في كتب التفسير والسير والتواريخ والأدب[1].

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥١١-٥١٢.

لا أعلم لماذا وقف المؤلف عند هذا السبب الوحيد لذكر اليهود في القرآن والتراث الإسلامي عامة وهو أي العداوة والحرب فقط والتي أعلنوها على الإسلام هي سبب ذكرهم، مع أن المؤلف مؤرخ ومحقق عدل يشهد له الجميع لما في كتابه المشار إليه من قيمة، ومعنى هذا الكلام أن الإسلام لو لم يصطدم باليهود لما ذكروا بهذا القدر في القرآن والحديث، ونتساءل.. لماذا ذكر النصارى والصابئة وغيرهم مع أنهم لم يحاربوا الإسلام في أول نشأته على الأقل..؟ وكأن هذا الحديث يشير إلى أن ذكر اليهود في المصادر الإسلامية ما هو إلا ردود فعل فقط لهذا العداء، وماذا =

ومن هنـا تجمعت معـارفنـا عن يهود الجاهلية، ولهذا تجد الحديث عن يهود الجـاهلية لا يرتقي كثيراً عن عصر النبوة، ولا يبتعد عنه، ولكني لا استبعد احتمال تغير الحال إذا ما عثر المنقبون في المستقبل على كتابات جاهلية قد تكون مطمورة في الوقت الحاضرة في باطن التربة يكون لها صلة بيهود جزيرة العرب، أما إذا ما عثر على مؤلفات ووثائق مكتوبة عبرانية أو غير عبرانية قد تكون مجهولة عن ذوي العلم في الوقت الحاضر تكون لها صلة وعلاقة بأمر يهود جزيرة العرب قبل الإسلام.

وقد وردت لفظة «يهود» في القرآن الكريم أي على هذا الشكل (اليهود) وردت في مواضع من سورة البقرة (الآية ١١٣-١٢٠)، ومن سورة المائدة (الآيات ١٨-٥١) (٦٤-٨٢) ومن سورة التوبة (الآية ٣٠) وكلها سور مدنية، ولم ترد في سورة من السور المكية، كمـا وردت لفـظة (يهـودياً) في سورة آل عمـران، ووردت في شرح ديانـة (إبراهيم) ﴿مَا كَانَ إبراهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِمَاً﴾[1] وهي من السور المدنية كذلك، وعبّر القرآن الكريم عن اليهود وعن معتنقي اليهودية بـ ﴿الذين هادوا﴾ البقـرة (٦٢) النســاء (٤٦-١٦٠)، المـائـدة (٤١، ٤٤، ٦٩)، الأنعـام (١٤٦)، النحل (١٨٨)، الحج (١٧)، الجمعة (٩). وبـ ﴿من كان هودا﴾ (البقرة ١١١)، ﴿وكـونوا هوداً﴾ (البقرة ١٣٥)، ﴿وكانوا هوداً﴾ (البقرة ١٤٠)، وسورتي الأنعام والنحل من السور المكية. وبناء على ذلك تكون جملة الذين هادوا قد نزلت قبل نزول لفظة اليهود في القرآن الكريم.

وقد عبّر عن العبرانيين عامة ببني إسرائيل في القرآن الكريم، عبر عنهم في سور مكية وفي سور مدنية ويلاحظ أن ورود هذا التعبير في القرآن الكريم هو أكثر بكثير من

= يمكننا القول بالعدد الكبير من الآيات القرآنية التي نزلت ببني إسرائيل واليهود وموسى وهارون وهي كثيرة جداً. . لأنهم عادوا الإسـلام فقط؟ قد يكون ما ورد سبباً ولكنه ليس كل الأسباب ولا مجال للخوض في تفاصيل أكثر لهذا الورود؟.

(١) سورة آل عمران آية (٦٤).

ورود لفظة اليهودية[1].

إن التعابير الخاصة ببني إسرائيل كثيرة وأولها:

العبرانيون: كلمة عبر باللغة تعني «مات»[2] على وزن نصر. وعبر النهر «اجتازه» والمعبر بوزن المبضع: ما يعبر عليه من قنطرة أو سفينة، وقال أبو عبيد: هو المركب الذي يعبر فيه، ورجل (عابر) سبيل، أي مار الطريق، والعبري بوزن المصري «العبراني» وهي لغة اليهود. وتطلق على أتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهم الذين عبر بهم نهر الأردن إلى فلسطين، وعرفت لغتهم بالعبرانية وهي إحدى اللغات السامية، وبقيت هذه التسمية عالقة بهم إلى أن رحل يعقوب من بقية آل إبراهيم إلى مصر، كما يقال أيضاً عن أتباع يعقوب وأبنائه «عبرانيون» لعبورهم صحراء سيناء إلى مصر.

إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وأبناؤه الذين يعرفون

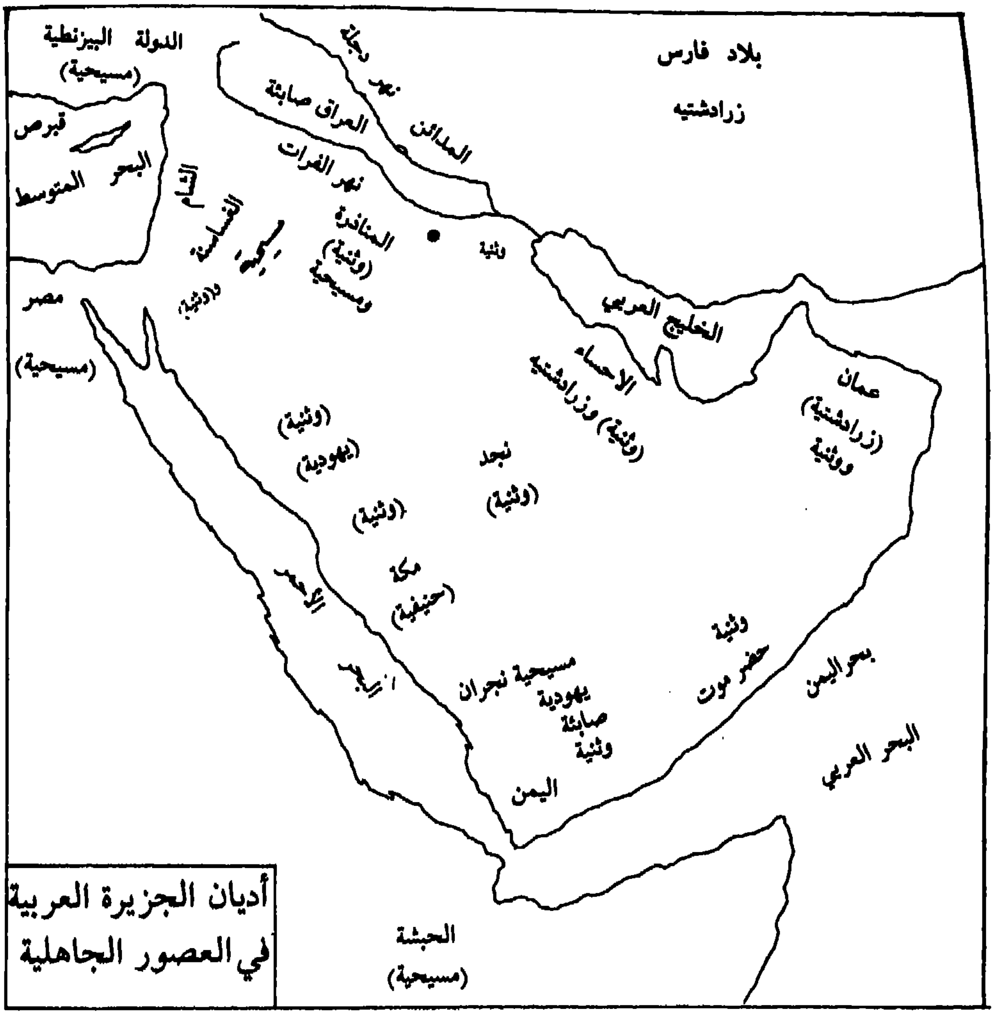
---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٥١٢/٦.

وردت كلمة بني إسرائيل في سورة البقرة (الآيات ٤٠، ٤٧، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦)، وفي (آل عمران ٤٩، ٩٣)، وفي (المائدة ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ١١٠)، وفي سورة الأعراف (الآيات ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨)، وفي سورة يونس (الآيات ٩٠، ٩٣)، وفي سورة الإسراء (الآيات ٢، ٤، ١٠١، ١٠٤)، وفي سورة طه (الآيات ٤٧، ٨٠، ٩٤)، وفي سورة الشعراء (الآيات ١٧، ٢٢، ٥٩، ١٩٧)، وفي سورة النمل آية ٧٦، وفي سورة السجدة آية ٢٣. وفي سورة غافر آية ٥٣. وفي سورة الزرخف آية ٥٩. وفي سورة الدخان آية ٣٠. وفي سورة الجاثية آية ١٦. وفي سورة الأحقاف آية ١٠. وفي سورة الصف آية ٦، ١٤.

المعجم المفهرس ـ القرآن الكريم ص ٣٣ أما كلمة عبرى، أو عبرانيون فلم ترد في القرآن الكريم ولكن وردت كلمة «تعبرون» بقوله تعالى: ﴿يا أيُّها المَلأُ أفتوني في رُؤيَايَ إن كُنتُم لِلرُّؤيا تَعبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] وتعني هنا «تعلمون» ولا علاقة لها بالعبرانيين من قريب أو بعيد.

(٢) مختار الصحاح ـ الرازي ٤٠٨-٤٠٩.



أصالة الحضارة العربية: الدكتور ناجي معروف

أيضاً بالأسباط وهم: (روبيل، شمعون، لاوي، يهوذا، إيساخر، زابلون) من زوجته ليا ومن جاريته بلهى (دان، ونيفتالي)، ومن الجارية الثانية زلفى (جاد، وأشير) (ويوسف وأخيه بنيامين) من راحيل. وبذلك أصبح عددهم اثني عشر ولداً عدا البنات من زوجته ليا، وراحيل ابنتي خاله، ومن امتيهما بلهى وزلفى[1].

ومعروف أن بني إسرائيل قد انتقلوا إلى مصر من فلسطين على إثر تعرفهم على أخيهم يوسف[2] الذي أصبح عزيزاً لمصر. وأقاموا فيها وتكاثروا، وذلك بحماية (العماليق الهكسوس) الذين كانوا يحكمون مصر. وعندما تمكن المصريون من طرد الهكسوس، وعاد الحكم للفراعنة استعبدوا بني إسرائيل وأذلوهم، إلى أن بعث الله تعالى كليمه موسى وأخاه هارون[3] إلى فرعون لتخليص بني إسرائيل، وعرفت رسالة موسى عليه السلام باليهودية[4] مع أنه ليس من سبط يهوذا إبن يعقوب ونسبه عليه السلام هو: موسى بن عمران بن فاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[5].

وأطلق على ديانته اسم «اليهودية» نسبة إلى «يهوذا» باعتبار أن أكثر بني إسرائيل عند ظهور موسى كانوا من سبط يهوذا.

---

(١) قصص الأنبياء ـ ابن كثير ص٢٠٥.

(٢) سورة يوسف (رقم السورة ١٢) تفسير النسفي، في ظلال القرآن، تفسير الخازن.

(٣) قصص الأنبياء ـ ابن كثير ص ٢٦٤-٣٨٢ قصة موسى عليه السلام.

(٤) هود ـ (هـاد): تاب ورجع إلى الحق، وبابه قال: فهو هائد. وقوم (هود) قال أبو عبيدة: «التهود) التوبة والعمل الصالح. ويقال أيضاً: هاد، و(تهود) أي صار (يهودياً). و«الهود» بوزن العود (اليهود). والتهويد المشي الرويد مثل الدبيب وفي الحديث «أسرعوا المشي في الجنازة ولا تهودوا كما (تهود) اليهود والنصارى. والتهويد: يصير الإنسان يهودياً (مختار الصحاح ـ الرازي ص٧٠١).

(٥) قصص الأنبياء ـ ابن كثير ٢٦٤. قصص الأنبياء النيسابوري أورد نسبه: موسى بن عمران بن يصهر بن فاهب بن لاوي بن يعقوب عليه السلام ص١٦٦.

وبعد أن ضعفت دولة النبي سليمان عليه السلام ـ وهي الدولة التي أقامها بنو إسرائيل بعد دخولهم إلى فلسطين في زمن النبي داوود عليه السلام ـ بعد وفاته انقسمت دولته إلى قسمين عرفا باسم «دولة إسرائيل ودولة يهوذا» واستمر الاسم على اليهودية التي عنت ديانة موسى عليه السلام.

ولم يطلق على لغة التوراة اللغة اليهودية، بل استمرت العبرية تطلق على اللغة التي نزل بها التوراة، والعبرية إحدى اللغات السامية.

فبنوا إسرائيل: هم أبناء يعقوب عليه السلام وأحفاده ومن جاء من ذريته.

واليهود: هم جميع الذين اعتنقوا ديانة موسى بمن فيهم بنو إسرائيل. فقد كان أول المؤمنين بهذه الديانة السحرة الذين أبطل سحرهم موسى فقالوا: آمنا برب موسى. ومن الطبيعي أن يعتنق اليهودية بنو إسرائيل ولكنهم بعد ذلك تركوها وحرفوها، وأخبارهم في القرآن الكريم والأخبار السابقة كثيرة والمتعلقة بهذا الإنحراف، كما اعتنقها بعض عرب اليمن وبعض العرب الأخرين كما سيرد لاحقاً.

وقد انتشر اليهود جماعات جماعات استقرت في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر إلى يثرب، فبنوا فيها الآطام لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم، وقد أمنوا على أنفسهم بالإنفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع إتاوة لهم، وعلى تقديم الهدايا إليهم لاسترضائهم. وكان من شأنهم أيضاً التفريق بين الرؤساء، وإثارة الشحناء بين القبائل حتى لا تصفوا الأحوال فيما بينهم وتلتئم، ولئلا يكون اتفاقها والتئامها خطراً يهدد اليهود[1].

إن دخول اليهود إلى يثرب فيه الكثير من الخبر غير الموثق، ولقد ورد ذكر هذه الأخبار في أمهات الكتب التاريخية العربية، واستقاها الأخباريون عن اليهود الذين

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٦.

كانوا في هذه المنطقة أو ممن أسلم منهم لإثبات أنهم ذوو نسب وحسب في الأرضين قديم وأنهم كانوا ذوي بأس شديد، وأن تاريخهم في هذه البقعة يمتد إلى أيام الأنبياء وابتداءً بإسرائيل، وأنهم لذلك الصفوة المختارة من العبرانيين[1].

١ـ وقصة اليهود طبقاً لرواية الاخباريين ومن تابعهم من المؤرخين المحدثين أمرها عجب، إذ تذهب رواياتهم إلى موسى عليه السلام، بعد أن أظهره الله على فرعون وطيء الشام، وأهلك من بها من الكنعانيين، أو أنه بعث إليهم بعثاً أهلك من بها، ثم بعث بعثاً آخر إلى الحجاز للعماليق الذين كانوا يسكنون المدينة قبل بني إسرائيل، وكانوا أهل بغي وغزو ملكوا على أنفسهم رجلاً يقال له «الأرقم» ويقال (الأرقم بن أبي الأرقم).

وتذهب الرواية إلى أن موسى عليه السلام كان قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى فضلاً عن جيش من بني إسرائيل كان قد بعثه إلى العماليق، وأمره أن يقتل القوم جميعاً لا يستبقي منهم أحداً، وأن هذا الجيش قد كتب له نجح بعيد المدى في مهمته هذه، فقتل العماليق جميعاً ولم يبق على أحد منهم إلاّ ولداً للأرقم كان وضيئاً فأشفقوا على شبابه، ومن ثم فقد حملوه إلى موسى ليرى رأيه فيه، غير أن موسى كان قد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل عودة الجيش بولد الأرقم[2].

وقد اعتبر الإسرائيليون أن إبقاء الجيش على حياة ولد الأرقم خروج على تعليمات موسى ومن ثم فقد رفضوا أن يسمحوا للعائدين بدخول الشام، مما اضطر هذا الجيش إلى العودة إلى المدينة والإقامة فيها، ومن ثم فقد كانوا أوّل من سكن المدينة من يهود[3] والقصة على هذا النحو توجه إليها سهام الريب من أكثر من

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٥١٧/٦.

(٢) دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ص٤٣٧، جواد علي ـ تاريخ ٥١٧/٦.

(٣) النص من دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ص٤٣٧ نقلاً عن الأغاني ـ الأصفهاني ١١٦/٣، و٩٤/١٩، وفتوح البلدان ـ ياقوت ٨٤/٥، وأبو الفداء ١٢٣/١، وابن خلدون ـ =

جانب، وليس بالـوسع القول بأنها ترقى إلى ما فوق مظنات الشبهات. هذا إذا لم تكن هي شبهة وذلك لأسباب كثيرة منها:

أولاً: أن هذا الـرأي الـذي ذهب إلى أن موسى عليه السلام قد وطيء الشام وأهلك الكنعانيين لا يتعارض مع الحقائق التاريحية فحسب، وإنما يتعارض كذلك مع آيات القرآن الكريم فضلاً عن نصوص التوراة.

في سورة المائدة يقول الله تعالى: ﴿يَا قوم ادخُلُوا الأرضَ المقدَسَةَ التي كَتَبَ اللهُ لَكَم ولا تَرتَـدُّوا على أدبَـارِكم فَتنقِلبُـوا خَاسِـرينَ. قَالوا يَا مُوسى إنَّ فِيهَا قَوماً جَبَّـارينَ، وإنَّـا لَنْ نَدْخُلَهَـا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فإنْ يَخْرُجُوا مِنهَا فإنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذينَ يَخَافُونَ أنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا آدخُلُوا عليهم البابَ فإذا دَخَلْتُمُوهُ فإنَّكُم غَالبونَ وعَلى اللهِ فَتوكَّلُوا إن كُنْتُم مُؤمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إنَّا لَنْ نَدخُلَها أبداً مَا دَامُوا فِيهَـا فَاذهَب أنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هَا هُنا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إنِّي لا أملِكُ إلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافرق بَيننَا وَبيْنَ القومِ الفَاسِقينَ. قَالَ فإنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَليهِمْ أربَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأرضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَومِ الفَاسِقِينَ﴾[1].

والأمر كذلك بالنسبة للتوراة التي تحدثت عن كل صغيرة وكبيرة في حياة موسى

= تاريخ ٢/٨٧-٨٨، ابن هشام - السيرة ٢/١٧ - الاغلاق ص٦٠-٦١، والدرة الثمينة ص٣٢٤، المدينة بين الماضي والحاضر ص١٤-١٥. وفاء الوفا - السمهودي ١/١١١، خلاصة الوفا ص١٥٦-١٥٧. عبدالفتاح شحادة (المرجع السابق) ٢٧١-٢٧٢، إسرائيل ولفنسون - تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٦، الروض الآنف ٢/١٦، وأيضاً تاريخ العرب قبل الإسلام - السيد عبدالعزيز ص٣٧٩، وتاريخ العرب في الجاهلية - الجبيلي ص١٨٨، وتاريخ الأدب العربي - ضيف ص٥٣، جواد علي - تاريخ ٤/١٢٩.

(١) سورة المائدة آية (٢١-٢٦)، صفوة البيان - تفسير مخلوف ص١٤٧، روح المعاني - تفسير ٦/ ١٠٦٧-١١١١، في ظلال القرآن - سيد قطب ٢/ ٨٦٩-٨٧١، مجمع البيان - تفسير ٣/ ١٨٠-١٨١ وغير هذه التفاسير.

عليه السلام وهكذا فإن النصوص المقدسة ـ آيات القرآن الكريم، واصحاحات التوراة تشير إلى أن الإسرائيليين الذين صحبوا موسى في رحلة الخروج من مصر، لم يكتب لواحد منهم بما في ذلك موسى عليه السلام وهارون أن يدخل الأرض المقدسة (فلسطين والشام) إذا استثنينا يشوع بن نون وكالب بن يفنه.

٢ـ إن القرآن الكريم وقبله التوراة يكذبان إرسال جيش إسرائيلي إلى الحجاز، فالقوم الذين جبنوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم ويصفون أنفسهم بأنهم كالجراد في أعين الجبابرة من بني عناق من سكان كنعان، هؤلاء القوم ليسوا هم الذين يجتازون صحراوات بلاد العرب حتى يصلوا إلى يثرب ثم يقوموا بها بمجزرة بشرية تنتهي بإفناء بلد بأسره إلا ولد الأرقم ملكها، ثم أليسوا هم أنفسهم الذين حاول الكليم عليه السلام أن يحرضهم على القتال حتى يصدعوا بأمر الله، ويدخلوا الأرض التي كتب لهم، إلّا أنهم كانوا ـ مع كثرتهم ـ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.. كانوا يخافون الحرب، ويهابون القتال بعد أن تمكنت منهم المذلة والصغار، ثم فقد صاحوا بموسى ـ كما تروي توراتهم ـ ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب لنسقط بالسيف..؟ وليت الأمر اقتصر على هذا، فإن التمرد سرعان ما يمتد إلى حد الثورة على موسى شخصياً. والمناداة بخلع رياسته، وقيام سلطة جديدة تعود بهم إلى مصر، فقال بعضهم: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر (عدد ١٤ـ٣ـ٤)،

هذه هي النصوص القرآنية والتورانية، وكلها تتحدث عن جبن الإسرائيليين وتقاعسهم عن القتال، أفليس من الغريب بعد ذلك أن يأتي بعض المؤرخين ـ ويا للعجب منهم من المسلمين فيزعم لليهود أمجاداً عسكرية ما كانت لهم أبداً..؟ والحق يقال ما زعموها لأنفسهم أبداً[1]

(١) يتصور الكاتب يهود موسى عليه السلام هم اليهود حالياً، وما بينهم وبين المسلمين والعرب من عداء والمؤرخون المسلمون الذين أوردوا هذه النصوص لم يكن في ذهنهم ما سيحل =

٣ـ إن التوراة تحدثنا عن معارك دارت رحاها بين اليهود والعماليق، ولكن ليس في المدينة المنورة كما يزعم بعض المؤرخين المسلمين القدامى، ومن تابعهم من المحدثين ـ وإنما في سيناء حيث كان يقيم فريق من العماليق في منطقة تدعى (رفيديم). وإن العماليق استمروا يضايقون الإسرائيليين حتى أيام شاؤول (١٠٢٠ـ١٠٠٠) ق.م أول ملوك إسرائيل، كما يروى سفر صموئيل ١٥ـ١ـ٣٥.

٤ـ إن الرواية التي تقدم لنا موسى عليه السلام في صورة لا تتفق ومكانة الكليم عليه السلام، فليس من شيم الأنبياء أن يرسلوا الجيوش لتقتل الناس جميعاً، كنت أفهم أن يدعو الكليم عليه السلام العماليق إلى عبادة الله الواحد القهار، فإذا ما رفضوا كانت الحرب ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[1] أما أن يرسل النبي الكريم ـ فيما يزعم الرواة ـ جيشاً إلى المدينة ليقوم بها بمجزرة بشرية مروعة تنتهي بإفناء القوم جميعاً، إلا طفل ضنوا عليه من الموت لوضاءته، فالأمر لا يمكن أن يقبل على علاته من عامة الناس فضلاً عن أن يكون ذلك من كليم الله عليه السلام. وحتى هذا فما شأن موسى بالعماليق في وسط بلاد العرب. . ؟ أنسي أصحاب هذه الرواية أن موسى قد أرسل إلى بني إسرائيل خاصة، وليس العماليق بالتأكيد من بني إسرائيل، كما أنهم هنا في المدينة المنورة ـ بعيداً عن مصر وفلسطين، فضلاً عن صحراء التيه ـ لم يعترضوا دعوته، وربما لم يسمعوا بها أبداً. حتى ولو كانوا قوماً جبارين ـ كما تذهب

= بأسلافهم ـ نحن ـ من الهوان والذل على أيدي اليهود، وما كانوا يعتقدون يوماً أن يصل الهوان بالأحفاد إلى هذه الدرجة. إن إيراد النص سواء أكان بسند أو بغير سند، إنما كان ينطلق موردوه من فرحة النصر للأنبياء وأتباعهم المؤمنين على الكفار، وإيراد خبر الأنبياء وانتصاراتهم فيه شيء من حسن الخبر ليس إلا، ألم يعير العربُ المسلمين بانهزام الروم النصارى أمام الفرس (المجوس)؟ فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿الۤم، غُلِبَتِ الرُّومُ في أدنَى الأرضِ وَهُم مِن بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُونَ. في بِضعِ سِنينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَومئذ يَفْرَحُ المُؤمِنُونَ بِنَصرِ اللهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرحِيمُ﴾ [الروم: ١ـ٥].

(١) سورة الحج آية (٤٠).

الـرواية ـ أفكـان موسى مكلفـاً بالقضاء على الجبارين في الأرض؟ وإذا كان ذلك كذلـك فلمـاذا القضـاء على العمـاليق بالـذات؟ وليسوا هم وحدهم الجبارين في الأرض، ثم ما هو الموقف بالنسبة إلى العماليق في غير يثرب؟

٥ـ إن بعض المؤرخين المسلمين أنفسهم يشكون في صحة الرواية هذه[1].

٦ـ إن هنـاك رؤية إخبـارية أخـرى كذلك تقدم سبباً مختلفاً لإقامة اليهود في المـدينـة، ذلـك أن موسى عليه السلام ـ طبقاً لهذه الرواية ـ قد حج إلى بيت الله الحرام ومعه أناس من بني إسرائيل[2] وعند العودة رأوا في موضع المدينة صفة بلد نبي

---

(١) الروض الأنف ـ السهيلي ٢/١٩ قارن ابن خلدون ٢/٨٨، دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ص٤٣٨.

(٢) ورد تلبية موسى وحجه في الأحاديث التالية:

قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدّثنا داوود بن أبي هند، عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بوادي الأزرق فقال: «أي واد هذا؟» قالوا: وادي الأزرق، قال: «كـأني أنظر إلى موسى وهو هابط الثنية وله جؤار إلى الله عز وجل التلبية»، حتى أتى على ثنية هرشاء، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشاء. قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء عليه حلية من صوف، خطام ناقته خليه» ـ قال هشيم: يعني ليفاً ـ وهو يلبي، رواه مسلم في صحيحه (١/٧٤/٣٦٨)، ورواه أحمد في مسنده (١/٢١٥-٢١٦)، ورواه ابن ماجه في سننه (٢٥/٤/٢٨٩١).

روى الطبراني عن ابن عبّاس مرفوعاً أن موسى حج على ثور أحمر ـ وهذا غريب جداً ـ قال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن عدي، عن ابن عون، عن مجاهد، قال: كنّا عند ابن عباس فذكروا الدجال: فقال: إنه مكتوب على يمينه (ك ف ر) قال: ما يقولون؟ قال: يقولون مكتوب بين يمينه (ك ف ر) فقال ابن عبّاس لم أسمعه؟ قال ذلك ولكن قال: أما إبراهيم انظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فرجل أدم جعد الشعر على جمل أحمر مخطوم بخلبه كأني أنظر إليه وقد انحدر من الوادي يلبي، قال هشيم (الخلبة ـ الليف) رواه البخاري (٦٠/٨/٣٣٥٥ فتح).

المرجع: (قصص الأنبياء ـ ابن كثير ٣٣٧).

يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين، ثم فقد أقاموا في سوق بني قينقاع، ثم تآلفت إليهم ناس من العرب فرجعوا عن دينهم، فكانوا أول من سكن المدينة.

وهكذا يبدو التضارب واضحاً في روايات الاخباريين، بل إن البعض منهم قد ذهب إلى أن هارون عليه السلام قد دفن بالمدينة كذلك، وهنا تتجه الروايات اتجاهاً غريباً حيث تذهب إلى أن موسى وهارون قد خرجا حاجين أو معتمرين، حتى إذا قدما المدينة خافا من يهود، فنزلا أحداً، وهارون مريض، فحفر له موسى قبراً بأحد وقال: أرض فيه فإنك تموت، فقام هارون فدخل لحده، فقبض فحثى عليه موسى التراب[1].

وقد زعم أهل الأخبار، أن العمالقة كانوا أصحاب عز وبغي شديد، وكانوا ينزلون في الحجاز في جملة ما نزلوا من أماكن في أيام موسى، وكان منهم بنو هف، وبنو سعد، وبنو الأزرق، وبنو مطروق، وملكهم إذ ذاك (الأرقم) ينزل ما بين تيماء وفدك.

وكان سكان يثرب من العمالقة وكذلك سكان بقية القرى، فلما تغلب عليهم العبرانيون انتزعوا منهم مساكنهم، وأقاموا في مواطنهم في الحجاز.

وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب من أيام موسى، وما ذكروه عدا إرساله جيشاً إلى هذه المنطقة، ثم ما رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز من سفر (صموئيل الأول ـ من التوراة)[3].

---

(١) (وفا الوفاء ١/ ١١٠)، (خلاصة الوفا ص ١٥٥ـ١٥٦) (الدر الثمينة ص ٣٢٤ـ٣٢٥)، فصول في تاريخ المدينة ـ علي حافظ ص١٣ـ١٤.

(٢) دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ٤٣٧ـ٤٤١. قصص الأنبياء ـ ابن كثير ٣٨٠ـ٣٨١ وفاة النبي هارون.

(٣) صموئيل الأول ـ الإصحاح الخامس عشر آية ٥ وما بعد. الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/ ٩٤ ابن =

وقد حسب أهل الأخبار العمالقة من سكان يثرب القدماء، ومن سكان أعالي الحجاز، فزعموا أن تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة، وأن اليهود قد سكنوها لذلك منذ أيام موسى. وقد أخذ الأخباريون رواياتهم هذه من اليهود ومن دخل منهم في الإسلام[1].

هذه هي الرواية الأولى التي وردت عن دخول اليهود إلى يثرب، ومع ما ورد من نقاش حول هذه القضية، والردود التي رد بها المؤرخون على أصحاب هذه الرواية من المسلمين الذين تبنوها. باعتبارها فتحاً لنبي على قوم من الكفار والبغاة، فإن هذه الرواية ساقطة من وجوه عدة ذكروا منها الكثير، ونضيف بأن بني إسرائيل عندما دخلوا التية أو قبل ذلك بقليل قد اعتراهم الكثير من الوهن والضعف والخوف، وذهبت منهم حمية الإيمان التي خرجوا بها من مصر، وبدأت تعتريهم الشكوك، وأفانين الشرك، وتراود أنفسهم قضايا العودة إلى مصر، وممارسة الحياة التي تعودوها هناك ـ كما ورد في السابق ـ وهذا يعني أن موسى عليه السلام قد انشغل بأمر بني إسرائيل عن كل شاغل، وبأعدائهم الأشداء الذين سيقابلونهم والعماليق والكنعانيين، ولذا فقد توجه بكل جهده إلى محاولة ضبط هؤلاء الناس الذين تخلوا بسرعة عن عقيدتهم. وقضى عليه السلام بقية حياته وهو يحاول جاهداً المحافظة على ما بقي فيهم من إيمان. عبدوا العجل، وأضلهم السامري، وحصلت الكثير من المعجزات، ولكنهم لم يتقدموا للحرب مع أعدائهم الذين أمامهم، فالأولى أن لا يفكر موسى عليه السلام بجيش عظيم يرسله إلى (الأرقم).

وكما سلف فإن رسالة موسى عليه السلام ليست عامة، ولكنها خاصة ببني إسرائيل، وهذا يعني عدم التكليف.

أما قضية الحج والعمرة إلى مكة فورود الأحاديث الصحيحة بالتلبية لموسى في

= هشام ـ السيرة ٢/١٧.

(١) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٧.

البخاري ومسلم وسواهما من كتب الصحاح، يعني تماماً قضية الطواف بالبيت بعيداً عن فكرة إرسال جيوش أو سواها، وربما يكون الحج والعمرة بدافع شخصي بحت تنفيذاً لأمر الله تعالى بذلك وبعدد قليل من الناس.

وهكذا فلا مجال للتصديق بأن اليهود قد جاؤوا يثرب بزمن موسى عليه السلام، أو استمرؤوا الحياة الناعمة فيها بعيداً عن خذلان بني إسرائيل في التية، والمسافة قريبة لحاج أو معتمر ولكنها مستحيلة بالنسبة لجيش يأتي ويحارب ويعود بهذا الظفر المبين ثم يعود ثانية للاستيطان؟ إن سكن اليهود في يثرب ـ طبقاً لهذه الرواية ـ بعيد جداً بخاصة إذا ما تذكرنا أن موسى عليه السلام قد خرج ببني إسرائيل عن مصر حوالي ١٢١٤ق.م، ولا أقول ١٤٤٧ق.م كما ترجح بعض الآراء[١].

بل إن هناك من يذهب إلى أن الخروج إنما كان في حوالي عام ١٥٧٥ ق.م طبقاً للآراء التي تربط بين اليهود والهكسوس[٢].

٢ـ الخبر الثاني عن وجود اليهود في يثرب يذهب به الإخباريون إلى زمن النبي داوود عليه السلام ١٠٠٠ـ٩٦٠ ق.م[٣] ذلك أن الإسرائيليين فيما يروى البعض، قد خلعوا طاعة داوود وانضموا إلى ابنه «إبشالوم» وأن النبي الكريم قد لجأ إلى أطراف الشام ثم لحق بخيبر وما إليها من بلاد الحجاز، ثم أعد العدة لاستعادة ملكه، فحارب ولده وانتصر عليه، ثم انتهى الأمر بقتل (أبشالوم) على يد (يؤاب) قائد جيش

---

(١) قصة الحضارة ـ ويل ديورانت ٢/٣٢٦ المجلد الأول.

(٢) دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ص٤٤٢. تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٩.

(٣) هناك اتجاهات مختلفة لفترة حكم داوود عليه السلام وهي (١٠١٠ـ٩٥٥ق.م ٥٥ سنة) و(١٠٠٤ـ٩٦٣ق.م، ٤١ سنة) و(١٠٠٠ـ٩٦٠ق.م، ٤٠ سنة) و(٩٧٥ـ٩٦٣ق.م، ١٢ سنة) و(١٠١٢ـ٩٧٢ق.م، ٤٠ سنة) كذا في كثير من الروايات.

داود، فضلاً عن قتل عشرين ألفاً من بني إسرائيل(1).

ولعل المؤرخ دوزي يذهب نفس الاتجاه. وإن رأى أن الأمر كان ممثلاً في هجرة سبط شمعون قبيل أيام داوود، ومن ثم فإن الهجرة لا علاقة لها بداوود.

وعلى أي حال فإن رواية الإخباريين الآنفة الذكر لا تعدو أن تكون تحريفاً لأحداث جاءت في التوراة، حيث تروى أن أخريات أيام داوود قد تميزت بعدة ثورات امتدت حتى أهل بيته، ومنها ثورة ابنه (أبشالوم) الذي نجح في أن يضم إليه قبائل إسرائيل الثائرة على أبيه ـ دون سبب ندريه على وجه اليقين ـ ثم تمكن (إبشالوم) من خلع أبيه وتنصيب نفسه ملكاً على إسرائيل في مكانه مما اضطر داوود إلى أن يذهب إلى (محانيم) في شرق الأردن حتى لا يفاجأ بـ (أبشالوم) فاتباعه في (أورشليم). إلاّ أن تصرفات (أبشالوم) المخزية مكنت داوود من استعادة ولاء بعض القبائل الإسرائيلية القوية، والانتصار على (أبشالوم) وقتله كذلك. على الرغم من أن أوامر داوود الصريحة لجنده بعدم قتله، مما أدى إلى حزن داوود المرير على ولده.

وهكذا يبدوا واضحاً أن الإخباريين لم يفعلوا أكثر من نقل القصة التي أوردتها التوراة وغيروا فيها بما يجعل اليهود يصلون إلى بلاد العرب على أيام داوود عليه السلام: بل إن هناك من يذهب به الخيال إلى أن يرى داوود عليه السلام قد غزا يثرب، وكان يسكنها (صلع وفالج)، وأنه أخذ من سكانها مائة ألف عذراء، وأن الله قد سلط الدود على أهل يثرب فأهلكهم بعد ذلك، ثم دفنوا في السهل والجبل من ناحية الجوف(2).

---

(1) ابن خلدون ـ تاريخ ٢/٩٧، وفاء الوفا ـ السمهودي ١/ ١١٠-١١٢، خلاصة الوفاء ص١٥٧.

(2) وفاء الوفا ـ السمهودي ١/١١٠، خلاصة الوفا ص١٥٦، الدرر الثمينة في تاريخ المدينة ص٣٢٣، جواد علي ـ تاريخ ٤/١٢٩.

غير أن هذه الروايات لم تذكر ماذا فعل النبي داوود عليه السلام بهذه المائة ألف عذراء من عذارى يثرب، فضلاً عن السبب في سبيهم، ثم وهل صحيح أن يثرب كان بها في تلك الآونة من القرن العاشر قبل الميلاد مائة ألف من العذارى؟ ثم وهل صحيح كذلك أن الله قد أهلك أهل يثرب بالدود جميعاً؟ وماذا فعلوا حتى ينالوا هذا العقاب؟ وأخيراً ماذا فعل هؤلاء الناس ليصب عليهم داوود نقمته إلى هذا الحد؟[1] إلّا أن قصة داوود في بعض المراجع لا تعدو كونها هجرة، ربما بسبب ثورة ابنه عليه، وعودته بعد ذلك وتقول الرواية أن داوود عليه السلام مع سبط يهوذا قد هاجر إلى خيبر، وتملك هناك ثم عودته إلى إسرائيل، وأمثال هذه القصص ما هي إلا قصص من هذا النوع الذي ألفنا قراءته في كتب أهل الأخبار، لا أستبعد أن يكون مصدره يهود تلك المنطقة أو من أسلم منهم، لإثبات أنهم ذوو نسب وحسب في هذه الأرضين قديم، وأنهم كانوا ذوي بأس شديد، وأن تاريخهم في هذه البقعة يمتد إلى أيام الأنبياء، وابتداء إسرائيل، وأنهم لذلك الصفوة المختارة من العبرانيين[2].

٣ـ لم يشر أي مصدر، سواء من الروايات الإخبارية المشتقة من الإسرائيليات في المصادر الإسلامية، وحتى في كتب بني إسرائيل إلى أية علاقة بين اليهود في عهد النبي سليمان ومدينة يثرب، فإذا كان للروايات السابقة جيش سيدنا موسى، أو غزو سيدنا داوود للمدينة من تقارب نحو الوقوع؟ فأكثر ما يمكن أن يكون في عهد سليمان عليه السلام. ففي هذا العهد يمكن أن يكون هناك شيء من الواقع، لو تحدثت المصادر عن جيش، أو قوة، أو أي شيء كان بين اليهود ويثرب. ففي عهد سليمان امتد ملكه إلى اليمن، واستقرت بزمنه مملكة إسرائيل، وانتهت تقريباً الفتن الداخلية، وأمد الله تعالى نبيه سليمان بقوة الجان والرياح، وآتاه ملكاً لا ينبغي لغيره، وسخر له الجان للبناء وللإنتاج الكثير وأصبح بإمكان سليمان لا أن يتحدى يثرب

---

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ص٤٤٤-٤٤٦.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٧.

فقط، أو أية مدينـة أخرى، فإنه تحدى بلقيس في اليمن من حيث القوة والبعد، واحتضنها لسلطانه، ومع هذا فلم تشر تلك المصادر إلى أي وجود لبني إسرائيل، أو أية جيوش ذهبت باتجاه يثرب خاصة إذا أخذنا بالروايات السابقة من سكنى اليهود في يثـرب وكيف لمثل النبي سليمان لا يقوى صلته بتلك المناطق، وباتباع ديانة موسى إن كانـوا متـواجدين فعلاً في يثرب، أو تيماء أو خيبر أو فدك؟ ربما تكون اليهودية قد وصلت إلى اليمن هذا مقطوع بصحته ـ لكن في يثرب فلم يرد بها خبر.

والمـوضـع الثـاني الـذي عششت فيه اليهـودية وباضت هو اليمن، ففي هذه الأرض من جزيرة العرب ظهر اليهود فيها ظهوراً واضحاً، وصارت اليهودية ديانة البلاد الرسمية أما كيفية مجيئها، وانتشارها هناك؟ ومتى كان ذلك؟ فليس لدينا علم واضح ودقيق عن ذلك.

ويزعم أهل الأخبار أن تبعاً وهو التبع (تبان أسعد أبو كرب) اهتدى إلى هذه الـديانة عند اجتيازه يثرب وهو عائد إلى اليمن من حرب قام بها في الشمال وفي إيران، وذلك بتأثير بعض الأحبار عليه، ومنذ ذلك الحين صارت هذه الديانة رسمية للبلاد(١) وتجعل بعض روايات الأخباريين اسم هذا التبع (تبع حسان) أو (حسان) وهو تبع الأصغر أو (أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميري) وغير ذلك، وتزعم أن حبرين من أحبار اليهود من بني قريظة عالمين راسخين في العلم هما اللذان هديا التبع إلى اليهودية، وأبعداه عن عبادة الأوثان(٢).

وقد يكون لهذه الروايات شيء من الصحة، غير أني أرى أن دخول اليهودية إلى اليمن مرده أيضاً إلى اتصال اليمن في عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبـرية ببـلاد الشـام وفي قصـة سليمان عليه السلام وملكته سبأ إشارة إلى تلك

---

(١) الطبري ـ تاريخ ١٠٥/٢ وما بعدها.

(٢) الأصفهاني ـ الأغاني ١٠٩/١ وما بعدها، ١٠/١٣ وما بعدها.

الصلات، وإلى هجرة جماعة من اليهود إلى هذا القطر عن طريق الحجاز(1).

وتبان (أسعد أبو كرب) هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من يهود إلى اليمن وعمـر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل ملك (ربيعة بن نصر) وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزو بلاد المشرق على المدينة، وكان قد مر بها في بدأته فلم يهيج أهلهـا وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخراجها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحي من الأنصار ورئيسهم (عمرو بن طلحة) الأصل طلحة وهو خطأ، أخو بني النجار ثم أحد عمرو بن مبذول، واسم مبـذول عامـر بن مالـك ابن النجـار، واسم النجـار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له (أحمر) عدا على رجل من أصحاب تبع وجده يَجُدُّ عَفْرقاً له فضربه به بمنجله فقتله، وقال: إنما التمر لمن أبره، فزاد ذلك تبعاً حنقاً عليهم فاقتتلوا. فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إن قومنا لكرام. وحكى ابن إسحاق عن الأنصار أن تبعاً كان حنقه على اليهود وأنهم منعوهم منه(2) وهذه الرواية تشير إلى سبق اليهـود إلى يثـرب من قدوم تبع إليها، كما تشير إلى وجود الأوس والخزرج، والمهم في هذه الرواية تأثر تبع بالحبرين اليهوديين الذين أسديا له عدة نصائح أهمها:

1ـ قال ابن إسحاق: فبينا تبع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة، عالمان، راسخان، حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة

---

(1) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥٣٧ـ٥٣٨.

(2) السيرة النبوية ـ ابن كثير ١ / ١٨ـ١٩، السيرة النبوية ـ ابن هشام ١/ ١٩ـ٢١، الروض الآنف ١/ ٣٥.

وأهلها، فقالوا له: أيها الملك، لا تفعل فإنك إن أبيت إلّا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة. فقال لهما: ولم ذلك؟ قالا: هي مهاجرة نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما[1].

٢ـ لما أوغر الهذليون صدره لهدم الكعبة استنصح الحبرين فقالا له: ما أراد القوم إلّا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله عز وجل اتخذه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعـوك إليه لتهلكن، وليهلكن من معـك جميعـاً. قال: فماذا تأمـرانني أن أصنـع إذا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذلل له حتى تخرج من عنده.

قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله أنه لبيت أبينا إبراهيم عليه السلام وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهرقون عنده، وهم نجس أهل شرك. أو كما قالا له. فعرف نصحهما وصدق حديثهما وقرب بالنفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت ونحر عنده، وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل[2] وكسى البيت كأحسن ما يكون، فكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة، ولا مقلاة (وهي الحائض) وجعل له باباً ومفتاحاً[3]. ومع كل ما تذكره وتؤكده الروايات عن صلات يثرب مع اليمن، نجد أن هذه الصلات جد مبتورة حتى ذلك التاريخ على الأقل.

(١) السيرة النبوية ـ ابن كثير ١/ ١٩ـ٢٠، الروض الأنف والسيرة النبوية ١/٣٣.

(٢) السيرة النبوية ـ ابن كثير ١ /١٩ـ٢٠.

(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ١/ ٢٠ـ٢١، الروض الأنف ـ السهيلي ١/ ٣٤ـ٣٧.

ولم يترك يهود جزيرة العرب لهم أثراً مكتوباً يتحدث عن ماضيهم فيها، وكل ما عثر عليه منهم نصوص معدودة وجدت في اليمن، لا تفصح بشيء ذي بال عن اليهود واليهودية كذلك لم يصل إلينا أن أحداً من المؤلفين والكتبة العبرانيين ذكر شيئاً عن يهود الجاهلية، وليس لنا من تاريخ اليهود في جزيرة العرب إلا ما جاء في القرآن الكريم، وفي الحديث وكتب التفسير والأخبار والسير، فمادتنا عن تاريخ اليهودية في الجزيرة العربية لا ترتقي إلى عهد بعيد عن الإسلام[1].

٤ـ ونعود إلى الحديث عن دخول اليهود إلى يثرب، ولعل أول النكبات التي حلت باليهود في فلسطين هو بدء الهجرة إلى يثرب، فيه شيء من الصحة والموضوعية وقد تم ذلك بمراحل كثيرة.

أ ـ هنالك فريق يذهب إلى أن اليهود إنما قدموا إلى بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد، بعد سقوط السامرة عاصمة إسرائيل ـ في أيدي الآشوريين عام ٧٢٢ق.م وليس من شك في أن هذا الاتجاه قد تأثر إلى حد كبير بسقوط السامرة في يوم ما من شهر ديسمبر (كانون الثاني) عام ٧٢٢، وأن العاهل الآشوري (سرجون الثاني ٧٢٢ـ٧٠٥ ق.م) قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية، وربما النبلاء والأغنياء، غير أن التهجير إنما كان طبقاً لرواية التوراة[2] إلى حلج وخابور ومدن مادي.

وحين تكررت العملية في عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق.م فإن العاهل الآشوري قد جاء بقوم من بابل وكوت وحماة ومدسوسة وعيلام فضلاً عن قبائل ثمود (ثامودة ومرسيمانو وحبايا) والعرب الذين يعيشون بعيداً عن الصحراء، وأسكنهم في السامرة، وذلك رغبة من العاهل الآشوري في كسر التحالفات القديمة في سورية وفلسطين بإدخال

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٥١٣/٦.

(٢) ملوك ثان ـ الكتاب المقدس ١٧ : ٦.

أجانب إلى البلاد[1].

وهكـذا يبـدو واضحـاً أنـه ليست هناك أية إشارة في التوراة أو في النصوص الآشورية إلى تهجير يهود السامرة إلى يثرب. أو إلى غيرها من بلاد العرب، ومن ثم فإن المؤرخين يرفضون هذا الاتجاه[2].

ولما كانت فلسطين امتداداً طبيعياً للحجاز، كان من الطبيعي اتصال سكانها بالحجـاز واتصـال سكـان الحجاز بفلسطين، وذهاب جاليات يهودية إلى العربية الغربية للإبحار وللإقامة هناك خاصة بعد فتوح الدول الكبرى (سكان بلاد الرافدين، فراعنه مصر، الامبراطوريات القديمة) لفلسطين واستيلائها عليها، وهجرة اليهود إلى الخـارج فكانت العربية الغربية لاتصالها بفلسطين من الأماكن الملائمة المناسبة لهجـرة اليهـود إليهـا، وإقـامتهم فيها، ولا سيما عند مواضع المياه وفي الأرضين الخصبة العامرة غير أننا لا نستطيع ـ كما قلت ـ التحدث عن هجرة اليهود هذه إلى هذه الأنحاء حديثاً علمياً معززاً بالكتابات والتواريخ[3].

وهنـاك فريق يرى أن هجرة اليهود إلى يثرب إنما كانت بعد سقوط اليهودية، وتدمير الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد على يد (نبوخذ نصر) في عام ٥٨٦ ق. م أو اغسطس (آب) عام ٥٨٧ ق. م وإبعاد كثير من اليهود إلى بابل، وهو ما عرف بالتاريخ بالسبي البابلي، وعندما قتل اليهود (جداليا) نائب نبوخذ نصر في أورشليم أدركوا مدى الكارثة التي حلت بهم، وخوفاً من انتقام العاهل البابلي فقد كان الهروب إلى مصر هو سبيل النجاة الوحيد أمامهم. فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاؤوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين[4].

---

(١) الكتاب المقدس ـ ملوك ثان ١٧ : ١-٢٦، وعزرا ٤ : ٢، ٩.

(٢) دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ص٤٤٦.

(٣) جواد عليه ـ تاريخ ٦/٥١٣.

(٤) الكتاب المقدس (التوراة) ملوك ثان ٢٥/٢٦.

ومرة أخرى ليس في هذه إشارة إلى هروب يهود إلى يثرب كما تذهب الروايات العربية[1] لكن بعض المؤرخين المحدثين يؤكدون هذه الرواية ولكن ليس نتيجة تهديم الهيكل، ولكن كما يقول هؤلاء المؤرخون أن اليهود كانوا في جملة من كان في جيش (بنونيد) يوم جاء إلى تيماء فأقاموا فيها وبمواضع أخرى من الحجاز بلغت (يثرب). وأن هؤلاء اليهود أقاموا منذ ذلك الحين في تلك الأماكن واستوطنوا في وادي القرى، وأماكن أخرى إلى مجيء الإسلام.

غير أن (بنونيد) لم يشر في أخباره المدونة إلى وجود اليهود في جيشه، وإلى إسكانه لهم في هذه الأرضين، كما أننا لم نعثر على كتابات تتحدث عن هذا العهد، أو عن العهد الذي سبقه، أو الذي جاء من بعده. لذلك فإننا لا نستطيع أن نعزز هذا الكلام بنصوص وكتابات، وإن كنا لا نريد نفي احتمال مجيء اليهود إلى هذه الديار في عهد (بنونيد) أو في عهد (بخت نصر) أو قبل العهدين[2].

ولعل الذهاب إلى تيماء وإلى وادي القرى ومجاوراتهما ربما كان أقرب للصواب من الذهاب بعيداً إلى يثرب، ذلك لأن الطريق إلى الحجاز لم يكن مقفلاً أمام يهود في تلك الفترة بخاصة وأن اليهود كانوا هاربين من فلسطين يبحثون عن ملجأ يقيهم شر العذاب الذي يمكن أن يصبه عليهم العاهل البابلي. والحجاز أقرب المناطق إلى فلسطين، كما أن وجود بعض من اليهود على طرق التجارة بين جنوب بلاد العرب وشمالها فيما بعد في العصر الروماني قد يدعم الرأي القائل بوجود هجرة يهودية إلى بلاد العرب منذ تلك الفترة[3] غير أن حملات البابليين المتكررة بعد ذلك على شمال بلاد العرب فضلاً عن استقرار (بنونيد) في تيماء ولمدة قد تقرب من

---

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ص٤٧٧، حواشي وفاء الوفا ـ السمهودي ١/١١٣، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٠٧.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٣.

(٣) إسرائيل ولفنسون ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٦.

سنوات عشر - كما أشرنا من قبل - قد يضعف هذا الاتجاه[1].

ويرى بعض الإخباريين أن ابتداء أمر اليهود في الحجاز، ونزولهم وادي القرى وخيبر وتيماء ويثرب إنما كان في أيام (بخت نصر). فلما جاء (بخت نصر) إلى فلسطين هرب قسم منهم إلى هذه المواضع، واستقروا بها إلى مجيء الإسلام[2].

فليس في هذا الخبر ما يحملنا على استبعاده، فهروب اليهود إلى أعالي الحجاز أمر سهل يسير، فالأرض واحدة، وهي متصلة والطرق مفتوحة مطروقة، ولا يوجد أي مانع يمنع اليهود، أو غير اليهود من دخول الحجاز، لا سيما وأن اليهود كانوا خائفين، فارين بأنفسهم من الرعب، فهم يبحثون عن أقرب ملجأ إليهم يحميهم من فتك ملك بابل بهم وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز[3].

وفي مرحلة تالية عثر على عدد من الكتابات النبطية في الحجر وفي مواضع أخرى من أرض النبط، وردت فيها أسماء عبرانية تشير إلى أن أصحابها من يهود، ويعود بعضها إلى القرن الأول للميلاد، ويعود بعض آخر إلى ما بعد ذلك مثل الكتابة التي يعود عهدها إلى سنة ٣٠٧ للميلاد، وصاحبها رجل اسمه (يحيى بدشمعون) (يحيى بن شمعون) غير أن هذه الكتابات شخصية وغير ذي بال عن عقيدة أصحابها، ولا عن تاريخهم في هذين الأرضين[4].

٥- إن الأدلة التاريخية تؤيد الرأي القائل بأن وجود اليهود في يثرب إنما يرجع إلى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، ولعل من أهم هذه الأدلة أن الظروف السياسية التي كانت يهود تمر بها في تلك الفترة بعد أن نجح الرومان في السيطرة على سوريا ومصر في القرن الأول قبل الميلاد، وعلى اليهودية ودولة الأنباط في

---

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم - مهران ٤٤٧.

(٢) الأغاني - الأصبهاني ١٩/٩٤. ابن خلدون - تاريخ ٢/٥٩٤.

(٣) جواد علي - تاريخ ٦/٥١٨.

(٤) المرجع السابق ٦/ ٥١٣-٥١٤.

القرن الثاني بعد الميلاد قد ساعدت هذه الظروف على هجرة أعداد من اليهود إلى شبه الجزيرة العربية التي كانت بعيدة عن السيطرة الرومانية، فضلاً عن أن بلاد العرب إنما كانت ما تزال في بداوة تشبه ما كان عليه اليهود إلى حد ما. هذا إلى أن اليهود أنفسهم إنما كانوا ينظرون إلى العرب على أنهم من ولد إسماعيل، وبما أنهم ـ أي اليهود ـ من ولد إسحاق فهم جميعاً إذن من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام، فهم من ذوي رحمهم، ولهم بهم صلة قربى، هذا فضلاً عن أن أمر هروب اليهود إلى أعالي الحجاز، ودخولهم إليه أمر سهل ميسور فالأرض واحدة، وهي متصلة، والطرق مفتوحة ومطروقة، ولا يوجد مانع يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين، فارين بأنفسهم من فتك الرومان، وأقرب مكان مأمون لهم هو الحجاز(١).

والرواية السابقة، وما شابهها من روايات اليهود تبدو أقرب للحقيقة، فذكر بنو قريظة أن الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقاً كثيراً، فخرج بنو قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو إسرائيل (بنو قينقاع الذين سبقوا إلى يثرب) ليسكنوا معهم.

فلما فصلوا عن الشام وجه ملك الروم في طلبهم من يردهم فاعجزوا رسله وفاتوهم. وهكذا كان ظهور الروم في بلاد الشام ومهاجمتهم فلسطين قد أدى إلى تقويض أركان الدولة اليهودية. فبسط الروم نفوذهم على البلاد، إذ أن اليهود قاموا بعدة ثورات فعمد الرومان إلى استعمال القوة في إخماد تلك الثورات، فاضطر اليهود إلى النزوح إلى الجزيرة العربية، والتي كانت أحب إليهم من غيرها نظراً لأنظمتها البدوية الحرة، ونظراً لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعوق سير القوات الرومانية المنظمة، وتمنع توغلها(٢).

(١) دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ٤٤٧.

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٨٨ حاشية (إسرائيل ولفنستون ـ تاريخ اليهود في الجاهلية) ص٩

ويزعم بنو قريظة أن الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقاً كثيراً، فخرج بنو قريظة والنضير وهديل هاربين من الشام يريدون الحجاز والذي فيه بنو إسرائيل ليسكنوا معهم، فلما فصلوا من الشام، وجه ملك الروم في طلبهم من يردهم، فأعجزوا رسله وفاتوهم. وذكر بعض الرواة والأخباريين أن علماء اليهود كانوا يجدون في التوراة صفة النبي ﷺ وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصاً منهم على اتباعه، فلما رأوا تيماء، وقيل المدينة، وفيها النخل عرفوا صفته، وقالوا: هذا البلد الذي نريده، فنزلوا(١).

ويقال: إن العمالقة أول من سكنوا المدينة أو يثرب، وظلوا بها حتى نزلها اليهود في القرن الثاني الميلادي، على إثر اضطهاد الرومان لهم في فلسطين، والمظنون أنهم الذين سموها باسم المدينة «مدينتا» وهو اسم آرامي، وظلوا على دين ابائهم إلى أن جاء العرب هدىً للإسلام الحنيف، واتخذوا العربية في حياتهم اليومية، وإن ظلوا يحتفظون بالعبرية في طقوسهم الدينية، وقد أمر الرسول ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لسانهم، وظهر بينهم غير شاعر كان ينظم في العربية مثل كعب بن الأشرف(٢).

٦ـ أدت الثورات التي قام بها اليهود في أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء بتشتيتهم وطردهم من فلسطين، وتهديم معبدهم على يد الامبراطور الروماني (طيطس) سنة ٧٠م وفرت جموع كثيرة من اليهود على أثر ذلك إلى جزيرة العرب، فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب، وفدك، وخيبر، ووادي القرى، وتيماء. كما نزل بعضهم اليمن وتمكنوا من تهويد جماعة من أهلها، وكان يعيش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة، كانت قد نزحت إليها في عهود قديمة، وتغلبت عليها من أصحابها العماليق(٣).

---

(٣) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٩.

(٢) تاريخ الأدب العربي ـ ضيف ص٥٣، الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/٩٧، ١٠٦.

(٢) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ص٣٤١، تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٨٩

أما ما ورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالي الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام، وفتكهم بالعبرانيين، وتنكيلهم بهم مما اضطر ذلك بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء الآمنة البعيدة عن محاولات الـروم، فإنـه يستند إلى أساس تاريخي صحيح[1]، فالذي نعرفه أن فتح الرومان لفلسـطين أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود إلى الخارج، فلا يستبعد أن يكون أجداد يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين[2].

ومنذ القرن الأول للميلاد جاء إلى بلاد العرب جماعات من اليهود والنصارى ثار اليهود على الرومان فقضى الرومان على ثوراتهم، وأبادوا جموعاً منهم عام ٧٠م، ثم حرموا عليهم الدخول إلى القدس، وتفرق أكثر الباقين من اليهود في الأرض فجاء جماعة منهم إلى بلاد العرب لاجئين إلى عدد من المدن ذات الزراعة والتجارة وقد كثروا خاصة في منطقة تمتد من يثرب إلى خيبر إلى تيماء، ولما جعل قسطنطين الأول النصرانية ديناً للدولة الرومانية عام ٣١٢م أصبحت الدولة متنازعة بين أصحاب المذاهب المختلفة. فكان إذا استولى أهل مذهب على الحكم أسرعوا إلى اضطهاد أصحاب المذاهب الأخرى، وكانت تلك السياسة الدينية تحمل في كل فترة جماعة من المضطهدين على مغادرة بلادهم.

ولقد كانت شبه جزيرة العرب مكاناً صالحاً للجوء أولئك المضطهدين، لأن شبه الجزيرة لم تكن خاضعة للروم، بخلاف العراق والشام وآسيا الصغرى ومصر وسائر بلاد العالم القديم[3].

تجددت ثورة اليهود ثانية على الرومان في أيام الامبراطور (هادريان) فيما بين عامي ١٣٢-١٣٥ ق.م، وانتهت الثـورة إلى القضـاء تمـامـاً على اليهود كلياً في

---

(١) ابن خلدون ـ تاريخ ٢/٥٩٤.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٨.

(٣) تاريخ الجاهلية ـ فروخ ص٤٨

فلسـطين وتغير اسم المـدينة المقدسة (القدس) إلى (إيليا كابتيولينا)، وتحول المعبد اليهودي إلى معبد لاله الرومان (جوبيتر) ثم بيعت النساء اليهوديات كإماء، وضاع اليهود في غياهب التاريخ.

وسـرعـان ما فر من أسعده الحظ فنجا إلى مكان يحتمي به من غضبة الرومان القاسية، وكان من هؤلاء المحظوظين فريق من يهود وصلوا إلى يثرب. وكان هؤلاء إلى جانب من وصلوا بعد تدمير القدس على يد (تيتوس) هم الذين كونوا الجالية اليهودية في شمال الحجاز، وفي يثرب بصورة خاصة[1]، وزاد عددهم بمرور الزمن حتى إذا ما ظهر الإسلام كان معظم سكان وادي القرى إلى يثرب من اليهود[2].

وتؤيد المصادر العربية هذا الاتجاه، فتذكر أنه لما ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعاً بالشام فوطؤوهم، ونكحوا نساءهم، وخرج بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو هدل (يهدل) هاربين إلى مَنْ بالحجاز من يهود، فلما فصلوا عنهم بأهليهم اتبعهم الرومان فأعجـزوهم وهلك جنـد الـروم في المغـاور والصحاري الخالية من الماء، وهذه الـروايات مأخوذة عن يهود المدينة أنفسهم، ثم أخذت جموع اليهود في الجزيرة العربية تزداد وتكثر بعد اضطهاد الروم لهم، ثم قصد بنو النضير وقريظة منطقة يثرب وارتادوا حتى تخيروا أخصب بقاعها فسكنوها[3].

ومن هؤلاء المهاجرين ـ على رأي الأخباريين ـ بنو قريظة وبنو النضير وبنو يهدل ساروا إلى الجنوب باتجاه يثرب، فلما بلغوا موضع الغابة وجدوه وبيئاً فكرهوا الإقامة فيه، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً طيباً، وأرضاً عذبة حتى إذا بلغ العالية وهي بطحان ومهزوز (واديان من حرة على قلاع أرض عذبة) بها مياه عيون غزيرة،

---

(١) تاريخ العرب القديم ـ فيليب حتى ص ٣٧٥-٣٧٧.

(٢) دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ص٤٤٩ـ٤٥٠.

(٣) الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/ ٩٤ حاشية: ابن خلدون ـ تاريخ ٢/ ٢٨٧.

رجع إليهم بأمرها، وأخبرهم بما رآه منها فقرر رأيهم على الإقامة فيها، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان، ونزلت قريظة ويهدل ومن معهم على مهزوز، فكانت لهم قلاعهم وما سقي من بعات وسموات[١].

وقد انتشر اليهود جماعات جماعات استقرت في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر إلى يثرب، فبنوا فيها الآطام لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم، وقد أمنوا على أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع أتاوة لهم، وعلى تقديم الهدايا إليهم لاسترضائهم، وكان من شأنهم أيضاً التفريق بين الرؤساء، وإثارة الشحناء بين القبائل حتى لاتصفوالأحوال فيما بينهم. وتلتئم. ولئلا يكون اتفاقها والتئامها خطراً يتهدد اليهود.

ولما جاءت الجاليات اليهودية إلى الحجاز اختارت يثرب وجوارها، ثم كثر اليهود في تلك المنطقة حتى كادوا يغلبون عليها جنسياً وسياسياً، وكذلك اختار اليهود منذ نزلوا يثرب أن يكون لهم أحياء يسكنون بها خاصة بهم جرياً على عادتهم في كل مكان وزمان. ولقد كثروا في يثرب في غربيها وجنوبها، كما سيطروا فيها على المرافق الزراعية والصناعية والتجارية، وفي الرواية أنه غبر زمن كان الحكم في يثرب لليهود. في ذلك الحين كان حول يثرب قرى كثيرة، كما كان فيها أسواق رائجة كثيرة ضمن القبائل اليهودية التي كانت في ذلك الحين فيها بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسة وزعورا وغيرهم، وكانوا قد ابتنوا حصوناً يجتمعون فيها إذا خافوا.

وكذلك كان في يثرب في ذلك الحين جاليات مختلفة إلى جانب أهلها من عرب الشمال، على هذا المزيج المتنافر من السكان نزل الأوس والخزرج[٢].

---

(١) جواد علي - تاريخ ٦/ ٥١٨-٥١٩، الأغاني ١٩/ ٩٥.

(٢) تاريخ الجاهلية - فروخ ص١١٦.

هذا مجمل الروايات التي تحدثت عن وصول اليهود إلى يثرب وإقامتهم فيها، وإننا إذ نؤكد نفي الروايات السابقة التي تعود بهم إلى عهد موسى وداوود عليهما السلام ـ كان الأولى أن تعود هذه الروايات إلى عهد سليمان عليه السلام ـ إلاّ أننا لا ننفي وصولهم تباعاً إلى يثرب وسواها من مدن شمال الحجاز على أثر النكبات المتلاحقة التي لحقت بهم سواء على يد البابليين والآشوريين أو الرومان الذين فتكوا بهم بشكل كبير خاصة في القرن الأول قبل الميلاد والقرنين الأول والثاني بعد الميلاد على أثر الثورات التي قاموا بها، وتواجدهم في شمال الجزيرة حصل بأوقات متفاوتة وهو أمر طبيعي ونستطيع أن نؤكد أن بني قينقاع قد سبقوا بني قريظة والنضير إلى الإقامة في المدينة وما جاورها. وهناك فكرة أخرى تقول بأن بعض القبائل اليهودية تعود إلى أصل عربي وتهودت وهذه الفكرة مستبعدة أيضاً ويأتي تفصيل لها في بحث اليهود العرب.

يرى (اوليرى) أن بني قينقاع إما عرب متهودون أو من بني أروم[1] ولكن من المؤكد أن القبائل الكبيرة من يهود المقيمة في يثرب ـ والتي هي موضوع بحثنا ـ من أصول غير عربية، وذلك لأن العرب اعتنوا بأنسابهم بشكل كبير، ولا تخلو قبيلة عربية من ذكر نسبها سواء في الجاهلية أو في الإسلام، إلاّ أن اليهود لم يرد لهم أنساب كأنساب العرب وهذا ما ينفي كونهم عرباً وتهودوا.

فمجتمع يثرب سنة ٧٠م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب، ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة أمام اضطهاد الرومان لهم، واختاروا من جزيرة العرب أخصب مواضعها مثل وادي القرى، وهو واد خصيب غزير المياه كان محطة من محطات الطريق التجاري القديم الذي يصل الشام واليمن، ومثل واحة خيبر، وهي حرة خصبة ذات مياه وفيرة.

---

(١) حاشبة ـ دراسات في تاريخ العرب القديم ـ مهران ص٤٥٠.

وفي يثرب أقام اليهود آطاماً وهي حصون يلجؤون إليها في أوقات الغارات، ويتحصن فيها النساء والأطفال والشيوخ عندما يخرج رجالهم إلى القتال، كما حصل عند حصار الرسول ﷺ ليهود بني النضير في العام الرابع للهجرة فتحصنوا منه في الحصون[1] وقد أشار القرآن الكريم إلى ما أصاب الله اليهود من نقمته في قوله تعالى: ﴿هُو الَّذِي أخرَجَ الَّذينَ كَفَروا مِن أهلِ الكتابِ مِن دِيَارِهِم لأوَّلِ الحَشرِ مَا ظَنَنتَم أن يَخرُجُوا وظَنُّوا أنَّهم مانِعتُهُم حُصُونُهُم مِن الله فأتَاهُمُ الله مِن حَيثُ لم يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأيديهِم وأيدي المؤمنينَ، فَاعتَبِرُوا يا أُولي الأبصَارِ﴾[2].

كان يهود يثرب يتجمعون في قرى أعدوا فيها هذه الحصون والآطام، وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى هذه القرى في قوله تعالى: ﴿لا يقاتِلُونَكم جَميعاً إلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أو مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بأسُهُمْ بينهم شَدِيدٌ تَحسَبُهم جَمِيعاً وقُلُوبُهُم شَتَّى ذَلِكَ بأنَّهُم قَومٌ لا يَعقِلُونَ﴾[3]. وكان ليهود يثرب بيت يعرف باسم (بيت المدراس)[4] كان يجلس فيه علماؤهم وأحبارهم وربانيوهم يتدارسون التوراة، ويفصلون فيما شجر بينهم، وقد دخل الرسول ﷺ أحد بيوت المدراس هذه ودعاهم إلى الله. فقال النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: «على أي دين أنت يا محمد؟ قال:

«على ملة إبراهيم ودينه»، قالا: فإن إبراهيم كان يهودياً. فقال لهما ﷺ: «فهلم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»، فأبيا عليه. .؟ فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الَّذينَ أُوتُوا نَصيباً مِنَ الكِتَاب يُدْعَوْنَ إلى كِتَاب اللهِ ليحكُم بينهم ثُمَّ يَتَولَّى فَريقٌ مِنهُم وَهُمْ

(١) ابن هشام ـ السيرة ٣/ ٢٠٠.

(٣) سورة الحشر آية (١٤).

(٢) سورة الحشر آية (٢).

(٤) ابن هشام ـ السيرة ٢/ ٢٠٦-٢٠٧، ٢١٣.

مُعْرِضُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعدُودَاتٍ وغرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَا كَانُوا يَفْتَرونَ﴾[1]»[2].

وكـان اليهود عندما نزل بينهم وحولهم الأوس والخزرج يزيدون على عشرين قبيلة، وذكـر ابن النجـار أن آطامهم كانت تسعاً وخمسين أطماً، وللعرب النازلين عليهم مثل الأوس والخزرج ثلاثة عشر أطماً، حيث ذكر ابن النجار أيضاً أنه نزل المدينة قبل الأوس والخزرج أحياء من العرب من بني أنيف من بلى، ومن بني مربد، وبني معاوية بن الحارث بن بهقة بن قيس عيلان، وبني الجذماحَيُّ من اليمن[3].

وكـان ممن بقي من يهـود يثـرب عند نزول الأوس والخزرج بنو قريظة، وبنو النضير، وبنـو محجم، وبنـو زعورا، وبنو قينقاع، وبنو ثعلبة، وأهل زهرة، وأهل زبالة، وأهل يثرب، وبنو القصيص، وبنو فاعصة، وبنو ماسكة، وبنو القمعة، وبنو زيد اللات وهـم رهط عبدالله، وبنو عكرة، وبنو حرافة[4].

اليهود في يثرب:

وكـان مجتمع اليهود ينزلون مجتمع السيول: سيل بطحان، والعقيق، وسيل قنـاة، وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هذل وعمرو فنزلوا بالعالية على وادي مزينيب ومهزوز، فنزل بنو النضير على مزينيب، ونزل بنو قريظة وهذل على مهزوز.

وكانوا أول من احتفر فيها الآبار، واغترس الأشجار وابتنوا الآطام والمنازل.
ومن أولاد هذل أو هدل ثعلبـة، وأسد ابنا ستيه، وأسد بن عبيد، ورفاعة بن

(١) سورة آل عمران آية (٢٣).

(٢) ابن هشام ـ السيرة ٢/ ٢٠١.

(٣) حاشية ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٤٢.

(٤) الدرة الثمينة ص٢٢٦، وفاء الوفا ـ السمهودي ١/ ١٢٢.

سموأل وكنيت وفيه ابنا هذل.

وكان بنو قينقاع يسكنون عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية، ونزل بنو حجر عند المشربة التي عند الجسر، ونزل بنو زعورا عند مشربة أم إبراهيم، ونزل بنو زيد اللات قريباً من بني غضينة(١).

وقد انتشر اليهود جماعات جماعات استقرت في مواضع المياه والعيون من وادي القرى وتيماء وخيبر إلى يثرب، فبنوا فيها الأطام لحماية أنفسهم وأرضهم وزرعهم من اعتداء الأعراب عليهم. وكان يقيم في (تفنا) عند ظهور الإسلام قوم من اليهود اسمهم (بنو جنبة)، وقد كتب إليهم الرسول ﷺ وإلى أهل (تفنا) يدعوهم إلى الإسلام أو إلى دفع الجزية(٢) وكتب إلى قوم يهود اسمهم (بنو عادياة) وإلى قوم آخرين اسمهم (بنو عريض)(٣).

وسكن اليهود يثرب، سكنها بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محمر، وبنو زعورا، وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو قريظة، وبنو يهدل، وبنو عوف، وبنو القصيص، وبنو ماسلة سكن هؤلاء المدينة وأطرافها، وكان يسكن معهم من غير بني إسرائيل بطون العرب منهم: بنو الحرمان حي من اليمن، وبنو مرثد حي من بلى، وبنو نيف وهم من بلى أيضاً، وبنو معاوية حي من بني سليم، ثم من بني الحرث بن بهته، وبنوا الشطية حي من غسان(٤).

وكانت يثرب تضم مع اليهود قبل أن يسكنها الأوس والخزرج قبائل بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محر، وبنو زعورا، وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٤٢ عن «المسعودي» ص١١٤-١١٦.

(٢) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ١/٢٧٦.

(٣) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥١٦-٥١٨، والطبقات الكبرى ـ ابن سعد ١/٢٧٩.

(٤) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٩.

قريظة، وبنـو يهـدل، وبنـو عوف، وبنـوا القصيث، وفي يثرب أقام هؤلاء اليهود الحصون (الآطام) على قمم الجبال ليتحصنوا بها في أوقات الحروب، ويلجأ إليها النساء والشيوخ والأطفال، وكثيراً ما كان اليهود يتعرضون لغزو الطامعين في أموالهم وحـاصـلاتهم الـزراعية من الأعراب، والبطون اليهودية الأخرى. ومن أشهر تلك الحصـون حصن الأبلق للسمـوأل، وحصن القمـومي لبني أبي الحقيق وحصـون السلالم والوطح ونلم وسعد بن معاذ[1].

مما تقدم يظهر أن اليهود لم يصلوا إلى يثرب في وقت محدد، ولم يصلوها جملة واحـدة ومع إسقاط الروايات التي تحدثت عن وجودهم هناك، فإن المحقق أنهم وردوهـا جميعاً بعد الميلاد أو قبله بقليل على أصح الأقوال، وكان وصولهم إليها بفتـرات متقـطعـة تزداد عندما يصاب اليهود في فلسطين بنكبات توجب هجرتهم ورحيلهم، فيغدون إلى يثرب باعتبار أنها مأمن قريب سهل. وبها أيضاً بعض منهم، والملاحظة المهمة في هذا المقام هو أن اليهود لم يفكروا بأن يقيموا حكماً لهم في المـدينـة، على الـرغم من أن أوقـاتاً كثيرة كانوا بها هم الغالبون من حيث العدد والكثـرة، لكن تفـرقهم واختلاف قبائلهم جعلهم بعيدين جداً عن إقامة حكومة في المنفى، بل العكس فإنهم كثيراً ما اندمجوا في حياة العرب الوثنيين وتعلموا لغاتهم وتكلمـوا العـربية وأخذوا بالكثير من العادات العربية خاصة وقد تأثر هؤلاء اليهود بجيرانهم العرب فانقسموا إلى قبائل وبطون، واتخذوا اسماء عربية وكانت لغتهم العربية لكنها غير خالصة، مشوبة بالرطانة العبرية لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تاماً، بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراستهم، فكان من الضروري أن يدخل في عربيتهم بعض كلماتها[2].

وأكبر هذه القبائل اليهودية ثلاث: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع. عاشت

---

(١) تاريخ العرب ـ الجبيلي ص ١٨٩ـ١٩٠ عن (ولفنستون ـ تاريخ اليهود ص١٦).

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٩٠ عن ولفنستون ـ تاريخ اليهود ص٢٠.

في معازلها من يثرب وبجوارهم أقامت بطون يهودية صغيرة، وتأثر اليهود بجيرانهم العـرب فانقسمـوا إلى قبـائـل وبـطون، واتخـذوا اسماء عربية، وكانوا يتخاطبون بالعربية، ولكنها كانت عربية تتداخل فيها رطانة عبرية، ولكنهم ظلوا مع ذلك يؤلفون طبقة متحاجزة عن العرب فكانوا يحافظون على انتسابهم إلى المدن والأقاليم التي قدموا منها، كما أنهم وضعوا لمعالم يثرب ومواضعها اسماء عبرية، فوادي بطحان يعني بالعبرية (الاعتماد)، ووادي مهزوز معناه مجرى الماء، وبئر أريس لا ينسب إلى شخص بهذا الاسم، ولكن أريس تعني باللغة العبرية الفلاح الحارث(١).

وكان اليهود يخشون على أنفسهم من جيرانهم العرب، ولعلهم أدركوا أن قراهم الخصبة ومزارعهم الغنية بالأشجار وبالثمار، ووديانهم التي تفيض بالمياه، وآبارهم وعيونهم العديدة، سوف توجه إليهم أنظار عرب الصحراء، ولذلك عمدوا إلى الإكثار من بناء الآطام والحصون، وزدادت هذه الحصون كثرة بعد نزول الأوس والخزرج وتطلعهم إلى السيادة الفعلية على المدينة(٢).

وهكـذا سكنت جاليات يهودية منطقة يثرب والطرق المؤدية إلى الشام، وإن

(١) مكـة والمدينة ـ أحمد الشريف ص ٢٩٨. لا يعني بأي حال ورود بعض المسميات ذات الأصول العبرية لبعض المواقع في يثرب بأنها من تأثيرات اليهود أو من تسميتهم، فإن اتصال العربية بالسامية واتصال العبرية بها أوجدت هذه العلاقة للعديد من الكلمات المتداخلة باللفظ والمعنى باللغتين وإذا كانت هذه الأسماء تدل على أصول عبرية، فلماذا لم يبق اليهود أي أثر مكتوب لهم في يثرب أو يشيدوا لهم أي معبد أو يقيموا لهم أي رمز أو مركز أو مكان يبقى من بعدهم أثراً لهم. .؟ الواقع أن اليهود لم يأتوا يثرب مقيمين، بل عاشوا القرون كلها على أمل العودة إلى فلسطين فلم يقيموا سوى الآطام التي تحميهم من غارات الأعراب، ولم يتركوا بها ولا على جدرانها، ولا في مخابئها أي أثر مكتوب، ولذلك لما أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة لم يجدوا غضاضة بالارتحال رغم أن غيرهم من قبائل العرب كانت حتى ذلك الوقت على وثنيتها وهذا يدل على عدم ارتباط هؤلاء بيثرب أو بغيرها بأي حال من الأحوال.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٤٣.

تركزت قبائل اليهود الكبرى في يثرب بالذات، حيث كان فيها ثلاث قبائل ربما بلغ عدد رجالها البالغين أكثر من ألفين، وهي قينقاع والنضير وقريظة، إلى جانب بطون وعشائر يهودية أخرى. ذهب الإخباريون أنها بلغت أكثر من عشرين بطناً[1].

غير أنهم لم يكونوا أعراباً أي (بدواً) ينتقلون من مكان إلى مكان، بل كانوا حضراً استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها، ومارسوا مهن أهل المدن، كل جماعة مستقلة تحمل اسماً من الأسماء التي ذكرها الأخباريون، وتروى الأخبار أن أحداً من يهود قد ملك بيثرب هو (الفيطون) أو (الفطيون)[2].

ويرجع الأخباريون مجيء الأوس والخزرج إلى المدينة إلى حادث سيل العرم - كما سيرد لاحقاً - ويقولون أنهم لما جاؤوا إلى يثرب وجدوا اليهود وقد تمكنوا فيها فنزلوا في ضنك وشدة ودخلوا في حكم ملوك يهود إلى أيام ملكهم المسمى (الفيطوان)، أو (الفيطون) أو (الفطيون) وكان رجلاً شديداً فظاً يعتدي على نساء الأوس والخزرج، فقتله رجل منهم اسمه مالك بن العجلان وفر إلى الشام إلى ملك من ملوك الغساسنة اسمه (أبو جبيلة) وفي رواية أنه فر إلى تبع الأصفر بن حسان، وتذكر الرواية أن أبا جبلة سار إلى المدينة ونزل بذي حرض ثم كتب إلى اليهود يتودد إليهم، فلما جاؤوا قتلهم، فتغلبت منذ ذلك اليوم الأوس والخزرج[3] وما زال هؤلاء اليهود يسيطرون على المدينة حتى وفدت عليهم قبائل الأوس والخزرج الأزدية من الجنوب، فأصبحوا سادتها الحقيقيين، وقد اتخذوا العربية الشمالية لساناً لهم،

---

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم - مهران ص ٤٥٠-٤٥١. وفاء الوفا - السمهودي ١/ ١١٢-١١٦، ابن هشام - السيرة ٢/ ١٦٠، جواد علي - تاريخ ٦/٥٢٢.

(٢) جواد علي - تاريخ ٦/٥٢٢. في ذكر هذه الحادثة أن اليهود قد تملكوا وأقاموا مملكة ربما تكون أول تأثيرات سياسية على الأوس والخزرج بالاتجاه إلى الملكية في يثرب باعتبار السامية عند اليهود.

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٣٣-١٣٥.

وكانوا وثنيين يحجون إلى مكة وأصنامها، مثلهم مثل بقية العرب، ولم يكونوا يعتمدون على التجارة مثل المكيين، إنما كانوا يعتمدون على زروع بلدهم وثمارها، بينما كان اليهود يقومون على الحرف والصناعات، وخاصة صناعة الأسلحة والأقمشة[1].

غير أن اليهود ظلوا مع هذه الغلبة يتهاترون مع الأوس والخزرج، ويعترضونهم ويتناوبونهم، فعمد مالك بن العجلان إلى الحيلة، فتظاهر أنه يريد الصلح معهم، وأنه عزم على تسوية العداوات، وطمس الحزازات، وأنه لذلك يدعو رؤساءهم إلى طعام ليتفاوضوا مع سادات قومه في أمر الصلح. فلما حضر سائر يهود فتك بعشرات منهم ممن استجاب لدعوته وفر أحدهم ليخبر قومه بما حدث، وحذر أصحابه الذين بقوا، فلم يأت منهم أحد فلما قتل مالك من يهود ما قتل، ذلوا، وقل امتناعهم، وخافوا خوفاً شديداً، وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه، لم يمشِ بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلون من قبل، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هم بين أظهرهم، فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم، فكان كل قوم من يهود لجؤوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعتززون بهم، ومنذ ذلك الزمن لم يبق لليهود على هذين الأرضين سلطان[2].

ورد في رواية أخرى أن مالك بن العجلان كان من الخزرج، وكان سيد قومه يومئذ وكان على اليهود منهم رجل اسمه (الفطيون) ملك عليهم، واستبد بأمر الناس، وكان يهودياً ومن بني ثعلبة، وكان امرىء سوء فاجراً، قرر أن لا تدخل امرأة على زوجها إلّا بعد دخوله عليها. فاغتاظ مالك من فعل الفطيون، ومن استذلاله للعرب، ولما كان زفاف اخته لزوجها، وكان لا بد من إدخالها على الفطيون أولاً ليستمتع بها كبر ذلك عليه، فدخل معها في زي امرأة، فلما أراد الفطيون الخلو بها وثب مالك

(١) تاريخ الأدب العربي ـ ضيف ص ٥٣ـ٥٤.

(٢) الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/ ٩٧ ـ جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥٢٠.

عليه وعلاه بسيفه وقتله وخلص قومه منه، وفر عندئذ إلى جبيلة ملك غسان[1].

وتذكر هذه الرواية أن (أبا جبيلة) لم يكن من غسان، بل كان من الخزرج، وكان عظيماً ذا منزلة كبيرة في الناس، حتى صار ملكاً على الغساسنة، ويرجح رواتها أنه لم يكن ملكاً على آل غسان، بل كان مقرباً من ملكهم، عظيم الحظوة لديه، ودليلهم على ذلك عدم اعتراف الغساسنة بوجود ملك عليهم اسمه (عبيد بن سالم بن مالك بن سالم) وهو اسم (أبي جبيلة) المذكور، ويذكرون أن (الرمق بن زيد الخزرجي) مدحه بشعر قاله فيه وتذكر رواية أن «الفطيون» اسم عبراني، واسمه (عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة) وكان تملك يثرب، فلما قتل خرج مالك بن العجلان حتى قدم على (أبي جبيلة)[2] وهو يومئذ ملك غسان، فسأله عن قومه وعن منزلتهم فأخبره بحالهم وضيق معاشهم (وكان اليهود قد ملكوا الزرع والضرع، والأوس والخزرج يتعاملون مع الأرض الجرداء، ومع الماء الملوث، ومع الجبال اليابسة). فقال له أبو جبيلة: والله ما نزل قوم منا بلداً إلا غلبوا أهله عليه.. فما بالكم[3]؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه، وقال له: أعلمهم أني سائر إليهم فرجع مالك بن العجلان، فأخبرهم بأمر أبي جبيلة، ثم قال لليهود: إن الملك يريد زيارتكم فأعدوا نزلاً فأعدوه، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حوض، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم له، وأجمع بمكر اليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرافهم، وخشي إن لم يمكر بهم أن

---

(١) الكامل ـ ابن الأثير ١/ ٤٠١.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥٢١

(٣) تدل هذه المقالة على أن القبائل التي خرجت من اليمن على أثر تهديم سد مأرب ومنها الغساسنه والأوس والخزرج ـ كما سيرد ـ كانت ذات منعة وقوة وأنفه، وقد ملكت في ذلك الوقت جنوب الشام وشمال الجزيرة، ويقال أيضاً جنوب العراق، ولذلك فقد تمكن الأوس والخزرج من فرض سلطانهم على يثرب، والدخول بعدها في متاهات البداوة من حبث الحروب والثأر والاقتتال وسواها.

يتحصنوا بآطامهم فيمتنعوا عنه حتى يطول حصاره إياهم فأمر ببناء حائر واسع فبني، ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه، وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا (الحائر) الذي بنى ثم يقتلوا كل من دخل عليهم من اليهود، ثم أمر أصحابه أن يأذنوا لهم في الحائر ويدخلوهم رجلاً رجلاً، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك، وتقتلهم الجند الذين في الحائر، حتى أتوا على آخرهم. فقالت سارة القرظية ترثي من قتل منهم أبو جبيلة تقول:

بنفسي أمة لم تغن شيئاً ... بذي حرض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتها ... سيوف الخزرجية والرياح
رزئنا والرزيئة ذات ثقل ... يمر لأهلها الماء القراح
ولو أربوا بأمرهم لجالت ... هنالك دونهم جاؤوا رداح

وعليه لم تدم سيطرة اليهود الأخيرة عن عامين اثنين فقط، وذلك على عهد أميرهم الفطيون وإن كنا نميل إلى تقديرها بحدود سنة ٥٠٠م[١]. وهي السنة التي تولى فيها أول ملك غساني قوي معروف، وبذلك تكون مدة تسلط اليهود الجديد حوالي عشر سنين، وهي مدة كافية لتنمر اليهود، والذي يدفع الخزرج إلى طلب النجدة من الغساسنة، وتختلف الروايات مرة أخرى في السبب المباشر لحدوث هذه المساعدة العسكرية التي دعمت موقف الأوس والخزرج أمام اليهود، وحققت لهم النصر عليهم.

أ ـ صاحب الأغاني ٩٦/١٩ يرى أن مالك بن العجلان وفد إلى جبيلة الغساني وهو ـ ملك غسان يومئذ ـ فسأله جبيلة عن قومه، وعن منزلهم فأخبره بسوء حالهم وضيق معيشتهم، وتعرضهم للظلم، والمهانة من اليهود، فاستاء أبو جبيلة من ذلك

---

(١) يقدرها سيديو بكتابه تاريخ العرب ـ ترجمة عادل زعيتر صفحة ٤٥ بعام ٤٩٢م.

وقال له: والله ما نزل قوم منا بلداً قط إلا غلبوا أهله عليه فما بالكم؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه وقال له: أعلمهم بمقدمي، فإني سائر إليهم لاستنقاذهم.

ب ـ الدكتور محمد حسين هيكل (حياة محمد ص١٩٩) يرى أن المسيحيين العرب الذين كانوا يعيشون في الشام، ويقيمون دولة عربية تابعة للدولة الرومانية الشرقية وهم (الغساسنة) كانوا بحكم نصرانيتهم يمقتون اليهود أشد المقت، وكانوا يتحينون الفرص للإيقاع بهم واستعملوا موضوع غيرتهم على الأوس والخزرج وسيلة للاستشفاء من اليهود وكسر شوكتهم والقضاء على هيمنتهم.

ج ـ ويذكر ابن الأثير (الكامل ١/ ٤٠٠ ووفاء الوفا ١/ ١٧٧) أن أبا جبيلة جاء إلى يثرب يطلب من الأوس والخزرج الذين طفح عندهم الكيل، ولم يبق في مكنتهم تحمل الضيم أكثر مما تحملوا، وبخاصة عندما بدأ الفطيون يتعرض لنسائهم، والعرب جميعاً يغارون على نسائهم ويموتون من أجل الشرف[1].

وقال أبو جبيلة للأوس والخزرج إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها لا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

وقال الصامت بن أصرم القوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود:

سائل قريظة من يقسم سبيها ... يوم العريض ومن أفاء المغنما
جاءتهم الملحاء تخفق ظلها ... وكتيبة خشناء تدعو سلما
عمي الذي جلب الهمام لقومه ... حتى أحل على اليهود الصيلما[2]

أما مالك بن العجلان فقد صوروه شيطاناً ملعوناً، وصوروه في بيعهم وكنائسهم

(١) المدينة ـ الخطراوي ٣/ ٧٨-٧٩.

(٢) الصيلم: الأمر الشديد والداهية، والسيف (القاموس المحيط ٤/١٤١)، الأغاني ١٩/ ٩٦-٩٧.

ليلعنوه كلما دخلوا ورأوه، وذكروه في شعرهم في أقبح هجاء قالوه[1].

قال مالك بن العجلان في ذلك قوله:

نحاني اليهود بتلعانها نحاني الحمير بأبوابها
فماذا علي بأن يلعنوا وتأتي المنايا باذلالها[2]

وقد كان بين يهود يثرب قوم يقال لهم (بني الفطيون) بقوا حتى جاء الرسول ﷺ إلى يثرب، فأجلاهم في السنة الثالثة من الهجرة، وذكر ابن دريد أن بعضاً من بني الفطيون الذين هم من نسل (الفطيون) ملك يثرب قد شهد بدراً، واستشهد بعضهم يوم اليمامة، وذكر أن نسب الفطيون في غسان وهو (عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الحارث المحرق بن عمرو مزيقيا) فهو بذلك من العرب على رأى البعض ومن اليمن، وليس من أصل عبراني[3] وقد فسر أهل الأخبار كلمة (الفطيون) بـ (مالك) وقالوا أنها تقابل (النجاشي) عند الحبشة (وخاقان) عند الترك، وذكروا أسماء نفر ممن كانوا يلقبون بـ (الفطيون)[4] وأبو جبيلة، عند بعض الأخباريين هو (عبيد بن سالم بن مالك بن سالم) أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج، فهو على هذه الرواية رجل من الخزرج، ذهب إلى ديار الشام، فملك غسان.

وذهب بعض آخر من الأخباريين إلى أنه لم يكن ملكاً، وإنما كان عظيماً ومقرباً من ملك غسان[5].

ونسبه بعض أهل الأخبار إلى (بني زريق) بطن من بطون الخزرج ونعته (أبي

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٢١، والأغاني ١٩/٩٧.
(٢) الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/٩٧.
(٣) جواد علي ـ تاريخ ٤/١٣٤.
(٤) المصدر السابق ٤/١٣٤ و٦/٥٢٢.
(٥) الكامل ـ ابن الأثير ١/٢٧٦، ابن خلدون ـ تاريخ ٢/٢٨٦ وما بعدها.

جبيلة الملك الغساني)[1].

ونحن إذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا القول: إن أخذ الأوس والخزرج أمر المدينة بيدهم، وزحزحة اليهود عنها يجب أن يكون قد وقع في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد، أي زمن لا يبعد كثيراً عن الإسلام، لأننا نجد أن أحد أولاده وهو (عثمان بن مالك بن العجلان) في جملة من دخل الإسلام وشهد بدراً، كما نجد جملة من بني العجلان من أبناء اخوة مالك وقد شهدوا بدراً ومشاهد أخرى وهذا ما يجعل زمن (مالك) لا يمكن أن يكون بعيداً عن الإسلام[2].

ويظهر من دراسة هذه الأخبار المروية عن اليهود وملكهم (الفطيون) وعن الأوس والخزرج وما فعلوه باليهود أن عناصر الخيال قد لعب دوراً في هذا المروى من كتب أهل الأخبار عن الموضوع.

ونجد في القصص المروى عن ملوك اليمن وعن ولعهم بالنساء، وعملهم المنكر بهن ما يشبه هذا القصص الذي نسب إلى (الفطيون). ونجد للعلاقات الجنسية مكانة في هذا القصص الجاهلي الذي يرويه أهل الأخبار عن ملوك الجاهلية، وما قصه (الفطيون) إلا قصة واحدة من هذه القصص الذي نجد للغرائز الجنسية مكانة بارزة فيها[3].

---

(١) الاشتقاق ص٢٧٢.

(٢) لم أقف على اسم (عثمان بن مالك بن العجلان) في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ولم أقف لهذا الاسم أيضاً في سيرة ابن هشام ممن شهد بدراً من الأنصار وإنما وقفت على اسم (رافع بن مالك بن العجلان) أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا الرسول ﷺ في العقبة الثانية وكذلك على أسماء ولديه (رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان وأخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان) وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان وشهد بدراً أيضاً، وهؤلاء من بني العجلان (سيرة ابن هشام ٢/٣٥٨ والسيرة النبوية ابن كثير ٢/٤٩٥ و ٥٠١).

(٣) جواد علي ـ تاريخ ٤/ ١٣٤ـ١٣٥.

إذا كانت الروايات قد صورت اليهود وملكهم (الفطيون) بهذا الشكل المزري فمما لا شك فيه أن تملك اليهود ليثرب قد جر على العرب الكثير من الويلات، سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، وهذا حدا بمالك بن العجلان على الإقدام على قتل الملك وطلب النجدة من الغساسنة، وذلك لأن اليهود إذا حكموا غيرهم من الناس فإنهم يعتبرونهم نوعاً من السوام والدواب، وليسوا من البشر وإنما خلقوا لخدمتهم، وعذابهم وسرقتهم وقتلهم وحتى الزنى بهم لا يعتبر جرماً محرماً كما لو كان بين اليهود أنفسهم لأنهم ليسوا من مرتبة البشر، وإنما خلقوا كالحيوانات لخدمة الإنسان، والناس من غير اليهود خلقوا كالعبيد لخدمة بني إسرائيل.

قد يكون هنالك مبالغات في هذا الذي رويناه كما ورد سابقاً، لكن هذا يؤكد سوء المعاملة التي عامل بها اليهود العرب عند حكمهم لهم، وكما تشير الروايات إلى أن (الفطيون) ليس شخصاً واحداً بذاته، بل هو لقب على كل ملك من الملوك الذين حكموا يثرب حتى أن بعض الأخباريين قد ذكروا أن (الفطيون) الذي قتله مالك بن العجلان يعود نسبه إلى الأزد، بل إلى منبت قريب من الأوس والخزرج، فهو ـ كما يقول الأخباريون ـ يعود إلى جدهم مزيقيا، ويدل هذا ـ إن صح الخبر ـ على أنه لم يكن من يهود، وإنما كان من العرب، تهود، وساد قومه بنسبه وساد اليهود بدينه الذي يوافقهم.

وتفرد ياقوت الحموي[1] في انتصار الأوس والخزرج على اليهود برأي ينقض كثيراً مما أوردناه، ويسم الموقف بكثير من المنطق، حيث ينسب ذلك الانتصار إلى قوة الأوس والخزرج أنفسهم فيقول متحدثاً عن ثعلبة العنقاء جد الأوس والخزرج: فلما كبر ولده وقوى ركنه سار نحو المدينة، وبها ناس كثير من بني إسرائيل متفرقون في نواحيها، فاستوطنوها وأقاموا بها بين قريظة والنضير وخيبر وتمياء ووادى القرى، ونزل أكثرهم بالمدينة، إلى أن وجد عزة وقوة فأجلى اليهود عن المدينة واستخلصها

---

(١) معجم البلدان ـ الحموي ٤/٢٨٥.

لنفسه وولده، فتفرق من كان بها من يهود وانضموا إلى أخوانهم الذين كانوا بخيبر وفدك وتلك النواحي، وأقام ثعلبة وولده بيثرب فبنوا فيها الآطام، وغرسوا فيها النخل فهم الأنصار.

وقد ينسجم رأيه مع ما أوردناه سابقاً إذا حملنا قوله على الانتصار الأولي عقب مقدمهم إلى يثرب، حيث سمح لهم سكانها من العرب وأفخاذ من اليهود بمجاورتهم، فكلامه يعني أنهم فرضوا وجودهم فرضاً، وسكنوها اغتصاباً، ولكنه مع ذلك بالغ في تشريد اليهود فإن الأوس والخزرج في تلك الآونة لم يكونوا من الحول والطول بحيث يفعلون ذلك، هذا بالإضافة إلى أن بطون اليهود ظلت في يثرب حتى أجلاهم الرسول ﷺ منها[1].

ومن المؤكد أن الغلبة التي حصل عليها العرب (الأوس والخزرج) بعد مقتل ملك اليهود وذبح أشرافهم قد استمر إلى فترة ظهور الإسلام، وفكرة الحكم الملكي قائمة في أذهان اليثربيين على شرط أن يكون الملك هذه المرة منهم - ومن الخزرج -.

ويمكن لنا أن نلخص العلاقة بين العرب واليهود بأنه كان يسكن مع اليهود عدة بطون عربية قبل هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب، ومن هذه البطون (بنو الحرمان حي من اليمن)، و(بنو مرثد حي من بلي)، و(بنو نيف حي من بلي أيضاً)، و(بنو معاوية وهم حي من بني سليم)، ثم (بنو الحارث بن بهثة)، و(بنو الشظية حي من غسان).

وقد بقيت هذه البطون العربية على أديان آبائها القديمة، ولم تعتنق اليهودية، فعدت من موالي اليهود، ثم نزحت قبائل الأوس والخزرج من اليمن على أثر انكسار سد مأرب (السيل العرم) فنزلوا بيثرب وأقاموا فيها مع اليهود، فسكن الأوس جنوب

(١) المدينة - الخطراوي ٣/٨٦.

شرق يثرب، أما الخزرج فسكنوا في شمالها الغربي وجاوروا يهود بني قينقاع.

ووجد الأوس والخزرج أن السيادة في يثرب لليهود، والأموال والآطام بأيديهم، والعدة والقوة معهم فرغبوا في مسالمتهم، وسألوهم أن يعقدوا معهم حلفاً وجواراً يأمن به بعضهم من بعض فأجابهم اليهود إلى ذلك رغبة منهم في ضمان سيادتهم على يثرب من جهة، وليستخدموا حلفاءهم في الدفاع عنها من جهة أخرى، بالإضافة إلى الاستفادة من خبرات هؤلاء العرب في المجال الزراعي والتجاري[1].

وقد أفاد عرب الأوس والخزرج من هذا الحلف وصار لهم مال وعدة، الأمر الذي أثار مخاوف اليهود فسعوا إلى نقض الحلف الذي بينهما، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم وهم خائفون أن تحتلهم يهود، فظهر بين الأوس والخزرج رجل أَنِفَ أَنْ يظل قومه تحت رحمة اليهود فعزم على وضع حد لذلك، وكان ذلك الرجل هو (مالك بن العجلان) وتذكر الروايات العربية على أن مالك وثب على زعيم يهودي يُقال له (الفطيون) وقتله، ثم خرج إلى بلاد الشام، ملتمساً النصرة من أبي جبيلة الغساني (ولعله الحارث بن جبيلة الغساني) أحد ملوك الغساسنة على يهود يثرب حيث نصره، وقتل عدد كبير من اليهود، وعادت السيادة للأوس والخزرج[2] على مدينة يثرب.

٣ـ أحوال اليهود الاجتماعية والأدبية:

لقد سبق القول بأن اليهود قد تأثروا كثيراً بحياة العرب. فسموا بأسمائهم، وعاشوا مثلهم قبائل وأحلاف، ولكنهم بقوا محصورين ضمن ما وصلهم من التوراة المحرفة في معتقداتهم الدينية، والتي كانت تربط حياتهم، ويؤثرونها على الناس فلا يطلعون عليها أحد.

---

(١) التاريخ الإسلامي العام ـ علي إبراهيم حسن ص١١٤.

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص ١٩٠-١٩١.

وكل ما عرفه العرب عنهم أنهم جاؤوا إلى مَدِينَةٍ مُهَاجِرِ نَبِيٍّ سَيُنْقِذُهُم من طغيان العرب وجيرانهم وسيرفع من شأنهم، وسيحاربون العرب بقيادته، ويقتلونهم قتل عاد وارم، وقليل جداً من العرب الذين عرفوا أكثر من هذه النبوءة عن يهود.

لم يُخْفِ اليهود هذه النبوءة عن (تبان أسعد كرب) الذي تحاشى حتى تهديم الكعبة بناء على نصيحتهم، لكن اليهود قد مارسوا أعمالاً كان يأنف منها العرب وهي الصناعة، وبعض التجارة في أسواق ثابتة، في الوقت الذي لم يكن للعرب هذه الأسواق حيث أن أسواق العرب موسمية ومتنقلة، فمن سوق عكاظ إلى ذي الحليفة إلى منى إلى رحلتي الشام واليمن (الصيف والشتاء). أما اليهود على العموم فقد استقروا في أسواقهم خاصة في يثرب. فسوق بني قينقاع كان من جملة الأسواق الكبيرة يتاجرون به بمختلف البضائع وخاصة الذهب، أما الصناعات فقد كانت السلاح على رأسها، ولقد أفادتهم هذه المهنة بتحديد الأسلحة إلى المتحاربين العرب في أيامهم التي أعجزت المؤرخين عدها وحصرها، ولا ينتهي يوم إلا ويتلوه يوم أخر أشد وأقسى. وهذه الصناعة جعلت لهم قوة ذاتية، ربما حمتهم في بعض الأحيان من جيرانهم، لم يتزوجوا من الوثنيين ولم يزوجوهم، وما كان من فسق ملكهم ـ إن صحت الرواية وهي بعيدة عن الصواب ـ فإن هذا شأن خاص، أما هم فقد آثروا الاعتزال ضمن حدودهم وآطامهم وحصونهم.

وسبق القول بأنهم تعاملوا بالعربية ذات لكنة أعجمية، لكنهم تكلموا بها ولم يسجلوا بها تراثاً كبيراً، والعبرية كانت خاصة عندهم، وقليل جداً من غيرهم من كان يعرفها. وقد عقد جواد علي فصلاً خاصاً عن شعرائهم[1] ومما قاله:

لا نعرف نصاً جاهلياً جاء فيه خبر عن شعر يهودي، أو عن شاعر يهودي عاش في بلاد العرب وكل ما ورد إلينا من شعر يهود مستقى من الموارد الإسلامية فحسب.

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٩/٧٦٨ فما بعد.

كذلك لا نعرف مصدراً عبرانياً، أو غير عبراني تعرض لأمر شعر اليهود في جزيرة العرب، ولهذا في الحديث عن شعر يهود في أيام الجاهلية مستمد من الموارد الإسلامية.

ومن يلق نظرة على أشعـار اليهـود لا يجـد فيهـا أي أثـر لليهـودية، ولا أية مصطلحات تشعر أن صاحبها يهودي، فلا نجد فيها شيئاً من قصص التوراة أو التلمود أو المنشاة أو الكمارة أو أي شيء له صلة بعقائد اليهود[1] مع أننا قد وجدنا شيئاً من قصص العهد القديم في شعر (أمية بن أبي الصلت) وهو غير يهودي. فهل يعني ذلك أن شعراء اليهود لم يكن لهم ميل إلى التحـدث في أمور الدين؟ والنظر في أحكام الشريعة؟ وفي التفكير في خلق السموات والأرض والإنسان، وفي الموت والفناء؟ أو أنهم كانوا في جهل بها؟ وكان أمرها عندهم إلى رجال دينهم هم يبحثون معينها، ولهذا لم يحملوا أنفسهم مشقة التعرض لها والبحث فيها، وأنهم كانوا تطرقوا فعلاً إلى هذه الأمور، وجاؤوا في شعرهم بأشياء مما يختص بدينهم، ويميزهم عن غيرهم، وتطرقوا إلى عاداتهم، وأشادوا بذكر أنبيائهم، غير أن الرواة المسلمين لم يحفلوا بشعرهم لأنه شعر يهودي، فضاع كما ضاع شعر الوثنيين إذ لم يروى منه إلا القليل.

لقد ذهب (ولفنسون) إلى أن السبب في قلة ما وصل إلينا من شعر اليهود في الجاهلية ومن أسمـاء شعرائهم، إنما يرجع إلى ضعف إقبال اليهود على اعتناق الإسلام، والـذي حافظ على القليل الـذي وصـل إلينـا هم اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، ومن تناسل منهم تخليداً لما كان لأجدادهم من مجد أثيل، وشرف عظيم، ولو لم يسلم بعض الأفراد من ذرية السموأل لكان من الجائز عدم وصول أي شيء من شعره إلينا.

---

(١) التوارة، التلمود، المنشاه، الكمارة، أسماء الكتب المقدسة التي كتبها اليهود عن ناريخهم وعقيدتهم، وحرفوا التوراة أولها عن أصولها.

وذهب الدكتور طه حسين إلى أن اليهود قالوا كثيراً من الشعر في الدين وهجاء العرب، وأنهم انتحلوا وصنفوا شعراً لإثبات وجـود لهم في الشعر، فنسبوه إلى شعراء يهود لكن الرواة العرب لم يحفلوا به فضاع.

وقـد أدخـل (كـارلو نالينو) في كتابه (تاريخ الآداب العربية) ص٧١ فما بعد الشعراء اليهود مع الشعراء الوثنيين، وجعلهم في الصنف الأول من أصناف طبقات الشعراء على حسب تصنيفه لهم إلى أربع طبقات وقال: لا تستغربوا عدم الفرق بين الـوثنيين واليهود من أهل البادية ووجوده بين الوثنيين والنصارى من أهل الحضر، لأنكم إذا اطلعتم على ما وصل إلينا من أشعار اليهود قبل الإسلام ما ألفيتم فيها شيئاً أو عبارة يميزها من سائر أهل البادية. فمن طالع مثلاً أبيات السموأل بن عاديا و(مع قطع النظر عن قصيدة واضحة التزوير منسوبة إليه لم تعرف ولم تطبع إلا حديثاً) لما توهم أن صاحبها تابع لدين اليهود، والأمر كذلك أيضاً في سائر أشعار يهود جزيرة العرب مثل شعبة بن غريض، والربيع بن أبي الحقيق، وغيرهما التي اعتنى بجمعها (فولدكه) و(فرانز ولتر) ليس من المستحيل أن ما فقد من أشعارهم (وهو كثير بالإضافة إلى ما حفظ) فقد حوى أشياء مما يختص بدينهم، وليس من المحال أيضاً أن الرواة المسلمين امتنعوا عن نقلها لهذا السبب، ولكن لا يجوز لنا الحكم إلاّ في الوجود، المعـروف، الذي لا يختلف عن شعر أهل البادية الوثنيين، لا لغة ولا أسلوباً ولا مأخذاً، كأن دينهم لم يؤثر في شعرهم البتة[١].

ولكني ـ كما يقول المؤلف ـ أجد من مطالعتي لشعرهم نفساً يختلف عن النفس الذي نجده في شعراء الجاهلية (البادية)، ذلك هو ميل هذا الشعر إلى التحديث عن المُثل الأخلاقية كالإنصاف والحكم بالعدل، والحكم والصداقة، واحترام حق الصديق، والاتعاظ بالموت وبحوادث الدهر، وبوجوب الوفاء. خذ الأبيات المنسوبة إلى (الربيع بن أبي الحقيق):

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٤/ ٧٦٨-٧٦٩.

سائـل بنـا جابـرا كمـائـنـا والعلم قد يلقى لدى السـائـل
لسنـا إذا جارت دواعي الهـوى واستمـع المنصت للقـائـل
واعـتـلج الـقـوم بألـبـابـهـم بقـائـل الجـود ولا الفـاعـل
إنّـا إذا نحـكـم في ديـنـنـا نرضى بحكم العـادل الفـاصل
لا تجعـل البـاطـل حقـاً ولا نلط دون الـحـق بالـبـاطـل
نخـاف أن تسفـه أجـلامنـا فنحمـل الـدهـر مع الحـامـل

ففيها دين يأمر بالعدل والإنصاف وعدم مزج الحق بالباطل، ينهي عن الظلم، ويأمر بالحق ـ وفيها إن صح بالطبع أنها من شعرهم ـ منطق واستماع إلى حديث متظلم، يعمد إلى رفع شكواه إلى المنصفين لإنصافه، فينصف، فأخذ الحق هنا هو بحكم الدين وقواعد العدالة لا بالسيف وبحكم العصبية والأخذ بالثأر[١].

وقد ذكر ابن سلام أسماء فحول شعراء يهود فجعلهم: السموأل بن الفريض بن عاديا، والربيع بن أبي الحقيق، وأبو الزبال، ودرهم ابن زيد، وأضاف غيرهم إليهم أوس بن أوفي وسماك، والفريض بن السموأل، وسلام بن مشكم، وكنانة بن أبي الحقيق[٢].

ومن شعـراء يهـود (أبـو أتايه) القرظي، و(أبو ياسر) النضيري، و(أبو القرفع) اليهودي و(عمرو بن أبي صخر بن أبي جرثوم) اليهودي، و(أبو حمضة) وله شعر في الحيران و(كعب بن أسد بن سعيد) القرظي اليهودي من بني قريظة، جاهلي له مع قيس بن الخـطيم في يوم (بعـاث) منـاقضـات، و(مـالك بن عمر النضيري) وهو جاهلي[٣] وذكر المعرى اسم شاعر يهودي اسمه (بسمير بن اركن) (سمير بن أركن) من أهل خيبر قال شعراً لما أمر عمر رضي الله عنه بإجلاء أهل الكتاب من جزيرة العرب هو:

(١) جواد علي ـ تاريخ ٩/ ٧٧٠.
(٢) المصدر السابق ٩/ ٧٧٠ـ٧٧١.
(٣) المرزباني ـ معجم ص ٥٠٧ـ٥١٥ ـ ٥١٣ ـ ٢٣٢ ـ ٢٦١ و(٥٩).

يصـول أبـو حفص علينـا بدرة رويدك إن المـرء يطفو ويرسب
كأنــك لم تبتـع حمـولـة ماقط لتشبـع، إن الـزاد شيء محبب
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم علينـا، ولكن دولـة ثم تذهب
ونحن سبقنـاكم إلى اليمن فاعرفوا لنـا رتبـة البـادي هو أكـذب[1]
مشيتم على آثـارنـا في طريقنـا وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا[2]

وأورد أبو الفرج الأصبهاني أبيات شعر نسبها إلى شاعرة يهودية اسمها (سارة) القرظية، ذكر أنها قالتها في رثاء قومها بعد أن قتل (أبو جبيلة) أشراف اليهود[3] وذكر الجاحظ بيتين نسبهما لشاعرة يهودية قالتها في نفث الرقية والصفار وهما:

ولـيس لوالـدة نفـثـهـا ولا قولـهـا لابـنـهـا دعـدع
تدارى غثـراء أحـوالـه وربـك أعـلم بالـمـصـرع[4]

٤- قبائل اليهود:

كما سبق القول فإن يهود الحجاز كانوا قبائل وعشائر وبطوناً منهم:

١- بنو أنيف: سبق أن أشرنا إلى أنهم حي من قبيلة بلى العربية، وكانوا يسكنون قباء ولهم آطام عند بئر (غدق) قال شاعرهم:

ولـو نطقت يوماً قبـاء لخبـرت بأنـا نزلـنـا قبـل عاد وتبـع
وآطــامـنـا عادية مشـمـخـرة تلوح فتنكى من تعـادى وتمنـع

٢- بنو القصيص: وكانوا أيضاً بقباء مع بني أنيف.

---

(١) جواد علي - تاريخ ٩/ ٧٨٩-٧٩٠.

(٢) رساله الغفران - المعري ص ٤٤١ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ص ٦٠.

(٤) جواد علي - تاريخ ٩/ ٧٩١ - ٦/ ٥٦٩ فما بعدها.

٣ـ بنو قريظة: وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً.

٤ـ بنو هدل: وكانوا يسكنون مع بني قريظة.

٥ـ بنو عمرو: وكانوا يسكنون مع بني قريظة.

٦ـ بنو النضير: وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً.

٧ـ بنو مريد: ولهم أطم معروف باسمهم.

٨ـ بنو محمم: وكانت لهم أرض تسمى خنافة مشهورة بكثرة الحراث.

١٠ـ ١١ـ ١٢ـ بنو معاوية، بنو زعورا، بنو زيد اللات.

١٣ـ بنو قينقاع: وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً.

١٤ـ ١٥ـ بنو حجر، بنو ثعلبة: كلاهما كان يسكن زهرة وهم: (الفطيون)، وكان لهم آطام كثيرة، وكانت زهرة من أعظم قرى المدينة، باد أهلها بالدود كما يقول الاخباريون وقد يكون ذلك وباءاً عاماً حل بهم وأفناهم، وكانت زهرة هذه في منطقة الجرف إلى جهة البركة، ولا يزال بستان يحمل هذا الاسم حتى الآن.

١٦ـ يهود الجوانية: وهو موضع بيثرب قرب أحد شمالي المدينة، ولهما أطمان هما صرار والريان، وقد صارا بعد ذلك لبني حارثة، وفيهما يقول (نهيك بن سياف):

لعـل صراراً أن تعـيش بنـاره   وتسمـح بالـريان تبنى مشـاربه

١٧ـ ١٨ـ بنو عكرمة، بنو مراية ولهم أطم الشبعان.

١٩ـ يهود رابخ: ولهم أطم يحمل هذا الاسم. قال قيس بن الخطيم:

ألا إن بين الـشـرعبي ورابـخ   خراباً كتخذيم السيال المعضد

٢٠ـ يهود يثرب: وقد بادوا ولم يبق منهم أحد.

٢١ـ يهود ناعضة: وأصلهم من اليمن، سكنوا شعب بني حرام[١].

غير أنهم لم يكونوا أعراباً، أي بدواً يتنقلون من مكان إلى مكان، بل كانوا حضراً

---

(١) المدينة ـ الخطراوي ٣/ ٧٤ـ٧٥، والأغاني ـ الأصبهاني ١٩/ ٩٥.

استقروا في الأماكن التي نزلوا فيها، ومارسوا مهن أهل المدن، كل جماعة تحمل اسماً من تلك الأسماء التي ذكرها الأخباريون[1].

وذهب الأخباريون إلى أنها بلغت أكثر من عشرين بطناً، وربما بلغ عدد رجال هذه القبائل البالغين أكثر من ألفين[2].

وعرف في التاريخ الإسلامي من هذه القبائل ثلاث، كانت ذات بأس وقوة، وعدد كبير، وصاحبة أملاك وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، ويأتي هذا الترتيب حسب زمن اصطدامهم بالمسلمين. ولقد ارتأينا الوقوف عليهم دون غيرهم نظراً لاحتكاكهم بالأنصار قبل الإسلام وبعده، وموقفهم من المسلمين بعد ذلك، وبأنه كان لتأثيرهم في حياة العرب في المدينة أكثر من غيرهم، ويضاف إلى هذه القبائل الثلاث العرب المتهودون باعتبار أنهم لعبوا دوراً كبيراً في حياة المدينة أيضاً.

أولاً: بني قينقاع:

يرى (أوليرى) أن بني قينقاع إما عرب متهودون أو من بني أروم وهذا الرأي لا يقف عند هذه القبيلة فقط، فإن فريقاً من المؤرخين إنما يذهب إلى أن يهود بلاد العرب - جميعهم - إنما هم عرب تهودوا.

لقد ادعى اليعقوبي[3] عروبة جميع القبائل اليهودية التي تسكن شمال الجزيرة العربية في يثرب وغيرها، فبنو النضير مثلاً عنده فخذ من جذام نزلوا بجبل اسمه (النضير) فعرفوا به، وبنو قريظة فهم فخذ من جذام أيضاً تسموا بجبل يحمل هذا الاسم وهكذا وكذلك أثرت عروبتهم على ياقوت الحموي - وهو رأي لا يثبت للنقاش، وليس له سند من منطق أو تاريخ دقيق، فإن ظاهرة تسمي اليهود بالأماكن

---

(١) جواد علي - تاريخ ٥٢٢/٦.

(٢) دراسات في تاريخ العرب - مهران ص٤٥١. جواد علي - تاريخ ٥٢٤/٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٩-٥٠.

التي ينزلون بها كما يقول (ولفنسون)[1] لا يمكن أن يتخذ دليلاً على عروبتهم[2].

ولم يكن اليهود ـ العرب ـ هؤلاء مزودين بمعلومات كافية في التوحيد، وأنهم لم يكونوا خاضعين لقانون التلمود كله. حتى أن بعضاً من يهود دمشق وحلب في القرن الثالث الميلادي أنكروا عليهم يهوديتهم، وإن كانوا مع ذلك شديدي التمسك بدينهم[3] ويكاد يجمع المؤرخون أن يهود بلاد العرب إنما هم من يهود فلسطين، وأنهم قد تركوها فيما بين عامي ٣٠-١٣٥م.

على أن الاستدلال ببحث لغوي على جنسية يهود بلاد العرب طبقاً لما تشير إليه الأسماء التي يحملها اليهود ـ قبائل وأفراد ـ لا يمكن أن يعتد به أو يعول عليه، فمن الحق أن بعض أسماء القبائل اليهودية عربية محضة، ولكنها لا تدل على أنها عربية الجنس، إذ يمكن أن تكون جموع اليهود والتي هاجرت إلى بلاد العرب قد اتخذت أسماء الأماكن التي نزلت بها أسماء لها بل إن الواقع إنما يدلنا على أن اليهود كانوا قد تركوا منذ أمد طويل الانتساب إلى قبائلهم وأصبحوا يعرفون بأسماء القرى والأقاليم التي جاؤوا منها. فكما يقال: فلان الأورشليمي أو فلان الحبروني.. وهكذا.

ومن ثم فالطريقة المثلى فيما يرى ولفنسون[4] إنما هي النظر في الأخلاق والتقاليد واتجاه الأعمال والأفكار، وهنا سوف نجد أن يهود بلاد العرب يهود أكثر منهم عرب هذا إلى جانب أن فكرة إقامة الحصون والآطام على قمم الجبال في شمال بلاد العرب إنما أتى اليهود بها من فلسطين، حيث تكثر هناك الحصون المبنية في الجبال. أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم إنما وجه الخطاب إلى اليهود بتعبير بني إسرائيل، ونص عليهم مسلك اليهود الأقدمين مع موسى والأنبياء من بعده، وكان

---

(١) تاريخ اليهود ـ ولفنسون ص١٥.
(٢) المدينة ـ الخطراوي ٣/٧٢.
(٣) تاريخ اليهود ـ ولفنسون ص١٣، ٧٣.
(٤) تاريخ اليهود ـ ولفنسون ص ١٥-١٦.

منهم من تعجيز وإحراج وكفر وتكذيب وعذر ونقض للشرائع وتحريف للكلام عن مواضعـه، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل، وذلك بصدد التنديد بموقفهم من النبي ﷺ وفي كثير من الآيات جعل اليهود المعاصرين والقدامى موضوع خطاب وسياق وسلسلة واحدة حيث يوجه الخطاب إلى بني إسرائيل، أو اليهـود بصيغـة المخـاطب القـريب، فينتقض ما كان من الأقـدمين، ومـا كان من المعـاصـرين بأسلوب يرجح أن المقصود به تقرير الصلة النسبية بين هؤلاء وأولئك وربط ما بدا من أخـلاق المعـاصـرين ومواقفهم بما كان من أخلاق القدماء، كأن الجميع يصدرون عن جبلة واحدة، وأخلاق متوارثة.

وإذاً فتوجيه الخطاب في القرآن الكريم إلى يهود يثرب «بني إسرائيل» يسوغ الترجيح بل الجزم بأن اليهود الذين كانوا في الحجاز بصفة عامة هم نازحون، وأنهـم إسرائيليون وأنهم ليسوا قبائل عربية تهودت، وإن كان هناك عرب تهودوا، فإنهم لم يكونوا جماعة محسوسة وليسوا إلاّ أفراداً[1].

وكان بنو قينقاع أول اليهود الذين ناصبوا الرسول العداء، وكانوا يسكنون في أحياء يثرب وكانوا أغنياء على غير وفاق ووئام مع بقية أبناء قومهم بني قريظة وبني النضير. وقد اشتركوا في يوم بعاث، ووقعت بينهم وبين بني النضير معارك فتك بها بنو قينقاع وأصيبوا بخسائر كبيرة، واضطرتهم على ما يظهر إلى الالتجاء إلى يثرب والإقامة فيها في حي واحد في المدينة[2].

وكان بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية، ويحدد العياشي نهاية هذا الجسر بالمراكثية والمشرفية المعروفتين اليوم، وفيه كانت سوقهم. ومن هؤلاء كان الصحابي الجليل عبدالله بن سلام وهو من ذرية يوسف الصديق عليه السلام.

(١) دراسـات في تاريخ العـرب ـ مهـران ص٤٥٤، تاريخ الأمـة العربية قبل ظهور الإسلام ـ عبدالفتاح شحاتة ٢/ ٢٧٩ـ٢٨٠، وجواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥٢٤ـ٥٢٥.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٢٤.

ومن خلال ما تقدم نجد أن بني قينقاع هم من القبائل القديمة التي نزلت يثرب، جاؤوها وسكنوها قبل بني النضير وبني قريظة الذين وصلوا متأخرين إلى يثرب، ونزلوا على من سبقهم من يهود، وكما وقعت بينهم حروب طاحنة ذكر الأخباريون مشاركة هذه الأحياء من يهود في يوم بعاث بين الأوس والخزرج، وقد تحالف بنو قينقاع مع الخزرج.

وكان بنو قينقاع أولو قوة وشجاعة، مارسوا الحرب وخبروها من خلال مشاركتهم في حروب العرب كحلفاء لهم، ومن خلال حروبهم مع أبناء جلدتهم بني النضير وبني قريظة، ويظهر اعتدادهم بأنفسهم موقفهم من الرسول ﷺ عندما جاءهم ناصحاً.

في رواية ابن إسحاق قال: وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم وكان ذلك بعد غزوة بدر وانهزام قريش ـ قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم.

فقالوا: يا محمد إنك ترى أنّا قومك[1]؟ ألا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمن إنّا نحن الناس.. قال ابن إسحاق: عن ابن عبّاس قال: ما نزلت هؤلاء الآيات إلاّ فيهم ﴿قُلْ للَّذينَ كفروا سَتُغْلَبُون وتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّم وبئسَ المِهَاد * قَدْ كَانَ لَكُم آيةٌ في فِئَتَيْنِ التَقَتَا...﴾ يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِثْلَيهِمْ رَأيَ العَينِ واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشاءُ إنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَة لأُولي الأبصَارِ﴾[2].

---

(١) أي على شاكلة قومك.

(٢) سورة آل عمران آية (١٢-١٣).

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد[1].

وقد أدى التنافس بين سادات يهود إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية، وقد أشار إليها القرآن الكريم، وأنبهم على ذلك، واضطرت بنو قينقاع بسبب ذلك، وبضغط بني النضير وبني قريظة إلى الالتجاء إلى أحياء يثرب وإلى محالفة الخزرج، وفي مقابل ذلك تحالفت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس فصاروا فرقتين، فرقة مع الخزرج وفرقة مع الأوس.

وفي تأنيب يهود لتخاصمهم وتنابذهم وإخراجهم بعضهم بعضاً من ديارهم وأسر بعضهم بعضاً وافتداء الأسرى، كالذي وقع بين بني قينقاع وبني النضير نزل الوحي ﴿وإذ أَخَذْنَا مِيثاقَكُم لَا تَسفِكُونَ دِمَاءَكُم ولا تُخْرِجُونَ أنفُسَكُم مِن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أقررتُمْ وأنتُمْ تُشهَدُونَ. ثُمَّ أنتُم هؤلاء تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُم مِن دِيَارِهِم تَظَاهَـرونَ عليهِم بالإثـمِ والعُدوانِ وإن يَأتُوكُم أُسارَى تفادوهُمْ وهَو مُحَرَّمٌ عَلَيكُم إخراجُهُم أفتؤمنونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إلَّا خِزيٌ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيومَ القِيامَةِ يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ﴾[2].

وكان يهود بنو قينقاع قد تحالفوا مع الأوس والخزرج ـ تحالفوا مع عبدالله بن أُبي بن سلول ـ كما تحالفوا مع عبادة بن الصامت. وكانوا صاغة، ولهم سوق عرف بـ (سوق بني قينقاع) وكانوا أشجع يهود فلما كانت وقعة بدر أظهروا ميلاً لقريش فحاصرهم الرسول ﷺ، ثم غلبهم فأجلاهم عن ديارهم ولحقوا بأذرعات[3].

---

(١) السبرة النبوية ـ ابن كثير ٣/ ٥ـ٦، السيرة النبوية ـ ابن هشام ٣/ ٥٠ـ٥١.

(٢) سورة البقره آية (٨٤ـ٨٥).

(٣) جواد علي ـ تاريخ ٤/ ٢٦٤، ونهاية الأرب ص ٦٧ـ٦٨ في ذكر غزوة بني قينقاع.

وهذا يدل على مبلغ قوة بني قينقاع وشدتهم وبأسهم في الجاهلية، كما كانوا أصحاب تجارة ناشطة، ولهم سوقهم الخاص ـ كما سيرد في غزوة بني قينقاع ـ حيث جاءهم الرسول ﷺ كما سبق ـ في سوقهم، وفيه كان السبب المباشر لحربهم وإخراجهم من المدينة.

ثانياً، ثالثاً: بنو النضير وبنو قريظة:

١ـ وبنو قريظة حي من يهود، وهم والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى عليهما السلام منهم محمد بن كعب القرظي.

وبنو قريظة أخوة النضير، وهما حيان من اليهود الذين كانوا في المدينة. فأما قريظة فإنهم أُبيدوا لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على رسول الله ﷺ أمر بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم واستفادة أموالهم.

وأما بنو النضير فإنهم أُجلوا إلى الشام وفيهم نزلت سورة الحشر(١).

والنَّضِيرُ والنُّضَارُ والأَنْضُر: اسم الذهب والفضة وقد غلب على الذهب·وهي النضر عن ابن جني وقال الأعشى:

إذا جردت يوماً حسبت خميصة عليها وجربال النضير الدلامصا

وجمعه نَضَار وأَنْضُر قال أبو كبير الهذلي:

وبياض وجه لم تحل أسراره مثل الوذيلة أو كشنف الأنضر

وبنو النضير حي من يهود خيبر من آل هارون أو موسى عليهما السلام وقد دخلوا العرب والنُّضْرَةُ والنُّضِيْرَةُ: اسم امرأة.

قال حسّان:

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ٣/٦٥

حيٌّ النضيرة ربة الخدر   أسرت إليك ولم تكن تسري(1)

٢ـ نَضَرَ الشجر والنبات ونَضَر وَنضِرَ نُضْرَةً ونَضَارَةً وهو نَاضِرٌ ونَضِرٌ ونْضِرٌ وأنْضر العود. قال الكميت:

درت بك عيدان المكارم كلها   وأورق عودي في ثراك وأنّضرا

ولها سوار من نِضْرٍ وهو الذهب، وقيل كل خالص نضار من ذهب وغيره.
وقدح من نَضَار وهو أقل ورسي اللون بخور الحجاز.

ومن المجاز نَضَّرَ الله وجهه: حسن وغض، وجارية غضة.
وفي الحديث نَضَّرَ الله من سمع مقالتي فوعاها(2).
وقِرْظٌ: دَمَغَ الأديمُ بالِقَرْظِ وهو ورق السلم وأديم مَقْرُوظٌ وقَرَّظْتَه وأَقِرْظُه ورجل قَارِظٌ يجمع القَرْظَ، ومنه (حتى يؤوب القَارِظُ) وخرج يَقْرُظُ.

وحدثت عن محمد بن كعب القُرظَيٌّ: منسوب إلى بني قُرَيْظَة.
ومن المجاز: قَرَّظْتُه تَقْرِيظاً مَدَحْتُه، وهما يتَقَارَظَانِ، يَتَمَادَحَانِ لأن القُرْظَ يحسن ويزين صاحبه كما يسحن القَرْظُ الأديم(3).

٣ـ النُّضْرَة: النَّعمة والعيش والغنى والحسن كالنُّضُورَ والنَّضَارَةِ والنُّضْرُ محركة نَضِيرُ الشجر والوجه واللون.

وكرم ومزح فهو نَاضِرٌ ونَضِيرٌ وأنْضُرٌ ونُضَّرَه الله، ونَضَّرَهُ وأَنَّضَرَهُ فأنْضَرَ والنَّاضِر الشديد النُّضْرَة، ويبالغ به في كل لون أخضر نَاضِرٍ، وأحمر نَاضِرٍ، وأصفر نَاضِرٍ، والنُّضْـرُ والنَّضِيرُ والنِّضارُ والأَنْضُر: الذهب أو الفضة والنضر بن كنانة أبو قريش، وكزبير أخو النَّضْرِ، وأبو نُضْرَةَ المنذر بن مالك، وام نُضْرَه: تابعيان، وعبيد بن نِضَار

(1) لسان العرب ـ ابن منظور ٦٥٧/٣، ترتيب القاموس المحيط ٣٨٧/٤ مادة نضر.

(2) أساس البلاغه ـ الزمخشري ص ٦٣٨.   (3) أساس البلاغة ـ الزمخشري ص ٥٠٣

ككتاب: محدث. ونِضِرُ الرجل بالكسر: امرأته، والنَّضِيرُ كَأَمِيرُ: حي من يهود خيبر والنسبة نِضْرِي محركة منهم بكر بن عبدالله شيخ الواقدي وأبو النَّضِير بن القَيِّهَان صحابي شهد أُحداً. ونَضِيرَة كسفينة جارية أُم سلمة(١).

القِرْظُ: محركة ورق السلم أو تمر السَّنْطِ، ويعتصر منه الأفافيا والقَارِظُ مجتنيه. وكسد أدبائعة وأديم مَقْرُوظ دبغ فأصبغ به.

وكبش قَرِظَيٌّ كَعَـرَبِيٍّ وجهني يمني لأنهـا منابتة... وقِرْظَان محركة: حصن بزبيد. وكجهينة: قبيلة من يهود خيبر، والتَّقْرِيظُ: مدح الإنسان وهو حي بحق أو باطل وهما يَتَقَارَظَانِ المدح(٢).

٤ـ وقد عرف بنو قريظة وبنو النضير باسم (الكاهنين) نسبوا إلى جدهم الذي يقال له الكاهن، و(الكاهن) هو الكاهن بن هارون بن عمران على زعم بعض أهل الأخبار(٣) فهم على هذه النسبة من أصل رفيع ومن نسب حسيب، يميزهم عن بقية طوائف يهود، ولهذا كانوا يفتخرون بنسبهم هذا، ويرون لهم السيادة والشرف على من سواهم من أخوانهم في الدين. ويرى (نولدكه) احتمال كون بني النضير وبني قريظة من طبقة الكهان في الأصل هاجروا من فلسطين على إثر الحوادث التي وقعت فيهـا. فسكنـوا هذه الديار، وهناك جملة عشائر وأسر يهودية يفتخر بالحاق نسبها بالكاهن هارون شقيق موسى النبي.

كذلك يرجع (اوليرى) كأمثاله من المستشرقين أصل بني قريظة وبني النضير إلى اليهود ويرى أنهم غادروا ديارهم وجاؤوا إلى هذه المنطقة في الفترة الواقعة ما

---

(١) القـامـوس المحيط ـ الفيروزبادي ٢/١٤٩ و٢/٤١٢. ترتيب القاموس المحيط مادة قرظ ٣/٥٩٦، ونضر ٤/٣٨٧.

(٢) جواد علي ـ ٦/٥٢٣.

(٣) الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/٩٥ وتاج العروس ٥/٢٥٩.

بين خراب الهيكل في عام ٧٠ للميلاد، وتنكيل (هدربان) باليهود في عام ١٣٢م.

ويرجع بعض بقية يهود جزيرة العرب نسبهم إلى الكاهنين وإلى الأسباط العشرة كذلك فيدلون أنهم من تلك الأسباط المفقودة وأنهم من نسل قدماء اليهود[١].

وقد كانت منازل بني النضير حينما غزاهم الرسول ﷺ في وادي بطحان، وبموضع البويرة، ووادي بطحان وهو أحد أودية يثرب الثلاثة وهي: العقيق، وبطحان، وقناة وهو واد فيه مياه غزيرة وعيون، اتخذ به اليهود الحدائق والآطام. وقد كان موضع البويرة، أمراً كذلك، وهو من تيماء، فيه نخل وزرع وأشجار، وقد غزاهم الرسول ﷺ بعد ستة أشهر من غزوة أُحد، فأحرق نخلهم، وقطع زرعهم وشجرهم لتطاولهم على المسلمين، ومن ساداتهم (حُيَيٌّ بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وهو أبو راهب الأعور، والربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش).

ومن بني النضير كعب بن الأشرف، وكان معاصراً للرسول ﷺ، وكان صاحب لسان ونفوذ. أبوه من طيء على رواية، ومن بني النضير على رواية أخرى، أما أُمه فهي من بني النضير بإجماع الرواة. فنشأ فيهم وقال الشعر عندهم وساد، ولما جاء الرسول ﷺ إلى يثرب كان كعب فيمن ناصب الرسول العداء فعلاً وقولاً، فهجا الرسول، وهجا أصحابه، وظل هذا شأنه بالرغم من محاولة المسلمين استصلاحه واسترضاءه، حتى جنى عليه لسانه فأهدر النبي ﷺ دمه، فذهب إليه نفر من المسلمين فاقتحموا داره وقتلوه، وقد كانت له مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، وكان كعب قد ذهب إلى مكة فحرّض قريشاً على الرسول ﷺ، ولما عاد إلى موضعه ألب المشركين من أهل يثرب عليه ورثى قتلى القليب فقتله المسلمون كما سبق[٢].

---

(١) جواد علي - تاريخ ٥٢٣/٦

(٢) جواد علي - تاريخ ٥٢٣/٦ حواشي الأغاني - الأصبهاني ١٠٦/١٩، الكامل - ابن الأثير =

وكان لبني قريظة حصون يتحصنون بها وقت الخطر ولهم آبار، ومنهم محمد بن كعب القرظي والزبير بن باطان بن وهب، وعزال بن شمويل، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد، وجبيل بن عمرو بن سكينة(١).

وكانت أكبر تلك القبائل اليهودية في يثرب ثلاث ـ بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وأقامت بجوارهم بطون يهودية صغيرة، فكان بنو قريظة ينزلون على وادي مهزوز مع أخوانهم بنو هذل وعمرو، وأما بنو النضير فقد نزلوا على مزينيب(٢).

وتأثر اليهود بجيرانهم العرب فانقسموا إلى قبائل وبطون، واتخذوا أسماء عربية، وكانوا يتخاطبون بالعربية، ولكنها كانت عربية تتداخل فيها رطانة عبرية(٣).

وهناك من يرجع نسب بني النضير وبني قريظة إلى طبقة الكهان ـ سلالة هارون عليه السلام، وأما بقية يهود بلاد العرب فبعضهم يرجع إلى نفس طبقة الكهان، وبعضهم الآخر إنما ينتمي إلى نسل الأسباط العشرة والذي كانت تتكون منهم دولة إسرائيل التي قامت عقب انفصال الدولة عشية موت سليمان في عام ٩٢٢ق.م إلى إسرائيل وعاصمتها السامرة، ويهوذا وعاصمتها أورشليم ـ إنما ضاعوا في غياهب التاريخ بعد الاحتلال الأشوري للسامرة في عام ٧٢٢ق.م ثم قيام سرجون الثاني بتهجير أكثرهم إلى مناطق أخرى من الامبراطورية، ثم أتى بقبائل أخرى من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب لتحل محل الإسرائيليين المسبيين، ثم أسكنهم في

= ٩٩/٢. الطبري ـ تاريخ ١٧٧/٢. ابن خلدون ـ تاريخ ٧٥٧/٢. ابن هشام ـ السيرة ٥٤٨/٢. ابن كثير ـ تاريخ البداية ٧٤/٤.

(١) جواد علي ـ تاريخ ٥٢٤/٦.

(٢) تاريخ العرب ـ الجبيلي ص ١٩٠.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٤٢.

السامرة وما جاورها. ومن هذا الخليط الجديد ظهر في التاريخ ما سمي بالسومريين[1].

وهكذا وضع سرجون نهاية لكيانهم كأمة، وأنهى وجود الأسباط العشرة كدولة، ولم يقدر لهم العودة مرة أخرى إلى المنطقة التي أخذوها غيلة واغتصاباً من أصحابها، ثم سرعان ما اندمجوا مع غيرهم من السكان الأصليين في المناطق التي أجبروا على الإقامة فيها، وليست هناك أية إشارة على أن بلاد العرب كانت ضمن هذه المناطق. وإن ذكرت نصوص العاهل الآشوري إن من بين من أتى بهم إلى السامرة قبائل من بلاد العرب ـ كما أشرنا من قبل ـ فهل أتى سرجون بجزء من الأسباط العشرة في مكان هؤلاء المهجرين من بلاد العرب؟ هذا ما سكتت عنه النصوص تماماً، ومن ثم فإننا نستطيع القول بأن بعضاً من يهود بلاد العرب كانوا من الأسباط العشرة[2].

هذا، ويذهب فريق من المؤرخين إلى أن بني النضير وبني قريظة فرعان من قبيلة جذام العربية تهودوا وسموا بأسماء المكان الذي نزلوا فيه[3]، وطبقاً لرواية الأخباريين فإن (جبل بن جوال) من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان قد تهود هو وقومه، وعاش مع بني قريظة حتى ظهور الإسلام، ثم هداه الله إلى الدين القويم فأسلم[4].

ويكاد يجمع المؤرخون على أن يهود بلاد العرب إنما هم من يهود فلسطين، وأنهم تركوها فيما بين عامي ٧٠ـ١٣٥، ويذهبون إلى أن يهود بني النضير وبني قريظة من نسل هارون وأن بقية البطون اليهودية من أسباط بني إسرائيل الأخرى، وأن يهود خيبر من نسل (يهود اداب بن ركاب) وأنهم قد هاجروا إلى خيبر بعد خراب

---

(١) تاريخ العرب الفديم ـ فيليب حتى ص ٢١٤.

(٢) دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ص ٤٥١ـ٤٥٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦ـ٣٧.

(٤) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥١٥، الإصابة ـ العسقلاني ١/٣٢٣ وما بعد

الهيكل عام ٥٨٦ق.م، ثم بقوا فيها حتى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ ٦٣٤-٦٤٤م). وأن كلمة خيبر كلمة عبرانية بمعنى الطائفة، أو الجماعة، وبمعنى الحصن أو المعسكر. وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه الأخباريون، وإن نسبوها إلى رجل دعوه (خيبر بن قانية بن مهلائيل) رأى فيه البعض (شفطيا بن مهلائيل) من بني فارض، علماً أن هناك من يفسرها بمعنى مجموعة من المستوطنات، وإن رأى اللفظة عبرية[1].

٥ ـ اليهود والعرب

أعاد اليعقوبي ـ كما سبق ـ أصل كل يهود إلى قبائل عربية، ولعله استند في رأيه على كثير من المقومات يمكن أن نستخلصها من خلال الدراسة السابقة وهي :

١ـ اتخاذ اليهود أسماء عربية، وتكلمهم العربية، وظهور بعض الشعراء الذين نظموا قصائدهم بالعربية، وعدم وجود مؤلفات لهم بالعبرية، سواء في مجال الأدب أو الشعر والمقالة، أو غير ذلك من فنون الأدب.

٢ـ اعتماد اليهود على الأنساب على طريقة العرب، ومحاولتهم أن يعودوا بأنسابهم إلى الأنبياء خاصة بني قريظة والنضير الذين يعيدون نسبهم إلى نبي الله هارون وموسى عليهما السلام وتفاخرهم بهذه الأنساب هو رغبتهم في ظهور النبي الخاتم بينهم.

٣ـ تميزوا عن العرب باتخاذهم الصناعة والزراعة حرفة لهم، وكانوا يرغبون بالاستقرار بعد المطاردات المستمرة التي لحقت بهم، وكان من أهم الصناعات التي زاولوها صناعة الأسلحة والذهب والفضة، وأقاموا لهم مزارع كبيرة جداً في المدينة

---

(١) دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ٤٥٢-٤٥٣، تاريخ الأدب العربي ـ ضيف ص٥٤، جواد علي ـ تاريخ ٥٢٥/٦.

وفدك وتيماء وخيبر، وكان جل اعتماد اليهود عند ظهور الإسلام على التجارة[1] ومعاطاة الربا والزرع، وبعض أنواع الصناعة كالصياغة وتربية الماشية والدجاج وصيد الأسماك في أعالي الحجاز على ساحل البحر الأحمر واشتهروا بالاتجار بالبلح وبالبر والشعير والخمر، وكانوا يجلبون الخمر من بلاد الشام، وكانوا يبيعون بالرهن، يرهن المشترون بعض أمتعتهم عندهم ليستدينوا منهم ما يحتاجون إليه وقد ورد أن الرسول ﷺ رهن درعاً له عند يهودي من أهل يثرب مقابل شعير كان بحاجة شديدة إليه[2].

٤ـ يختلف اليهود عن النصارى العرب بأن جل نصارى العرب من أصل عربي أو من أصول قريبة من العرب، ولم يكن هناك أي زحف أو هجرة من نصارى الجزيرة العربية إلى داخلها إلّا ما كان من نصارى الحبشة الذين بقوا طبقة متميزة لم تدخل في حياة السكان في اليمن أو تتوغل إلى الحجاز أو الخليج أو أي نقطة أخرى ـ إلّا ما كان من أصحاب الفيل الذين أبيدوا بمحاولتهم الوصول إلى مكة ودخولها ـ أما الروم الذين تنصروا فقد استمروا طبقة حاكمة مميزة أيضاً حتى أن عقيدتهم تنافرت مع أفكار العرب والأقباط عن السيد المسيح وعن الديانة المسيحية.

٥ـ عقد جواد علي ـ المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام بحثاً طريفاً عن اليهود العرب نثبت بعضاً منه عن حال هؤلاء.

---

(١) التجارة عند اليهود كانت مستقرة، فلم يخروجوا بتجارتهم خارج المدينة، وإنما كان القرشيون وسواهم يقوم بجلب البضائع وتبادلها مع الشام واليمن.

(٢) حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: ولقد رهن النبي ﷺ درعه بشعير، ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز وشعير وأهالة سنخة، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد إلا صاع ولا أمسى وأنهم لتسعة».

حدثنا مدد حدثنا عبدالواحد حدّثنا الأعمش قال: تذاكرنا عند إبراهيم الرهن والقبيل في السلف فقال إبراهيم: حدّثنا الأسود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ورهنه درعه، صحيح البخاري ـ ٢/٧٨، جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٣٥.

وقد تكون بعض القبائل اليهودية التي ذكر أسماءها الأخباريون قبائل يهودية معاً أي من الجماعات اليهودية التي هاجرت من فلسطين في أيام القيصر (طيطوس Titus) أو (هدريان Hadrian) أو قبل أيامهما أو بعدها، ولكن بعضاً آخر منها لم يكن من أصل يهودي، إنما كانت قبائل عربية دخلت في دين يهود، ولا سيما المسماة بأسماء عربية أصيلة. ولبعض هذه الأسماء صلة بالوثنية تشعر أنها كانت على الوثنية قبل دخولها في دين يهود(١). والظاهر أنها تهودت إما بتأثير التبشير، وإما باختلاطها ودخولها في عشائر يهودية جاورتها فتأثرت بدياناتها، وقد ذكر البكري أن بني (حشنة بن عكارمة) وهم من بلى قتلوا نفراً من بني الربعة، ثم لحقوا بتيماء، فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم، فتهودوا، فأدخلوهم المدينة، فكانوا معهم زماناً ثم خرج نفر إلى المدينة فأظهر الله الإسلام وبقية من أولادهم فيها(٢).

وقد ذهب بعض المستشرقين استناداً إلى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الإسلام إلى أن أولئك اليهود لم يكونوا يهود حقاً بل كانوا عرباً متهودين تهودوا بتأثير الدعاة اليهود، ولكن الاستدلال من دراسة الأسماء على أصول الناس لا يمكن أن يكون حجة للحكم على أصولهم وأجناسهم، فالفرس والروم والهنود وغيرهم ممن دخل الإسلام تسموا بأسماء عربية، وبعضها أسماء عربية خالصة، وتسمياتهم هذه لا تعني أن مَن تسمّى بها كان عربي الأصل، ثم أن كثيراً من اليهود في الغرب وفي أمريكا وفي البلاد العربية والإسلامية سموا أنفسهم بأسماء غير عبرانية، ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود، فالأسماء وحدها لا تكفي في إعطاء رأي علمي في يقين الأصول والأجناس، ولا سيما في المواضع الكائنة على طرق التجارة والمواصلات، وفي الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط(٣).

---

(١) Margolioth p 60 NOLDEKE, Beitrioje B 52

Wistanfald Ocs'chiehie Von Medina 8 28

(٢) جواد علي ـ ناريخ ٦/ ٥٢٥ حاشية (البكري ١/ ٢٩) و Islamic Culture III Vol Z P 177

(٣) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥٣٠ـ٥٣١.

ويلاحظ أن يهود الجاهلية لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى خصائصهم التي يمتازون بها ويحافظون عليها محافظة شديدة كما حافظوا عليها في الأقطار الأخرى، فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص هي أسماء عربية، والشعر المنسوب إلى شعراء منهم يحمل الطابع العربي والفكر العربي، وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية لم يكونوا يختلفون اختلافاً كبيراً عن العرب، فهم في أكثر أمورهم كالعرب إلّا فيما سوى الدين، ولعل سبب تأثيرهم وهم ذووا أكثرية في اليهود الأصليين الذين أثروا فيهم فأدخلوهم في دينهم فأثروا فيهم وطبعوهم بطابعهم العربي.

وقد عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة أهلها، فلبسوا لباسهم، وتصاهروا معهم، فتزوج اليهود عربيات، وتزوج العرب يهوديات، ولعل كون بعض يهود من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحاول بين العرب واليهود عند ظهور الإسلام هو الاختلاف في الدين وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في أي بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد(1).

وللمستشرق (ونكلر) رأي في هذا الموضوع خلاصته: أن أولئك اليهود لو كانوا يهوداً حقاً هاجروا من فلسطين إلى هذه المواضع لكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه هؤلاء اليهود، كانت حالتهم أرقى وأرفع من الحالة التي كانوا عليها، إذ لا يعقل - على رأيه - وصول جماعة إلى ذلك المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب لو كانوا من بلاد مستواها الثقافي والمدني أرقى من مستوى من هو دونهم كثيراً في شؤون الحياة. ومستوى الحياة في جميع نواحيها، في فلسطين أرقى وأرفع من مستواها في الأماكن التي وجد فيها اليهود من بلاد العرب، فهم على رأيه عرب متهودون، لا يهود مهاجرون(2).

---

(1) المصدر السابق - ٦/٥٣٢ حاشية Gratz III p58 F60

(2) Winkior, Mott Asai VI p222

غير أن هنالك من يؤاخذ (ونكلر) على هذا الرأي، لأن رأيه لا يمكن أن ينطبق على من ترك دياره وهاجر، واستقر في موطن جديد لأمد طويل، لأن الأوضاع المحيطة بالوطن الجديد سرعان ما تؤثر في المهاجرين، ولا سيما إذا كانوا جماعات صغيرة، أو جماعات ليست ذات بأس شديد فتجعلها تنصاع للمحيط الذي نزلت فيه بعض الانصياع، فتفقد بعض خصائصها لتكتسب خصائص المجتمع الجديد، ثم أن اليهود الذين نزلوا في الحجاز كانوا يختلفون مع ذلك عمن كان في جوارهم أو بينهم، إذ كانوا يشتغلون بالزراعة، ويمتهنون بعض المهن التي يأنفها العربي الأصيل، كما أنهم كانوا لا يرغبون في القتال، ولا يميلون إلى الغزو والحروب، ولم يشتركوا إلا اضطراراً وإلّا بإلحاح المصالح الضرورية فيها، وهم يختلفون في هذه الناحية عن الأعراب(١).

ويتبين من روايات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس Josephos Flavius) أن اليهودية كانت قد وجدت سبيلاً بين العرب وأن بعض ملوك مملكة (حدياب) كانوا قد دخلوا فيها. ويذكر المؤرخ (سوزويمن Souzomenos) واليهود كانوا ينظرون إلى العرب الساكنين شرق الحد الغربي Limas Arabicus على أنهم من نسل إسماعيل، وأنهم كانوا يرون أنهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم، فهم من ذوي رحمهم، ولهم بهم صلة قربى، وكانوا لذلك دخولهم في دينهم واعتناقهم دين إبراهيم جد اليهود والعرب، وقد عملوا على تهويد أولئك العرب (Sozomeinos 638 10-13-299 Die Araber 11 p71) ويظهر من مواضع في التلمود أن نفراً من العرب دخلوا في اليهودية، وأنهم جاؤوا إلى الأحبار فتهودوا أمامهم وفي هذه الروايات التلمودية تأييد لروايات أهل الأخبار التي تذكر أن اليهودية كانت حمير وبني كنانة، بني الحارث بن كعب وكندة(٢).

---

(١) حواد علي ـ تاريخ ٦/٥٣١.

(٢) حواشي مس جواد علي، المعارف ٦٢١، الاعلاق النفبسة ص٢١٧ البدء والتاريخ ـ غسان ٤/٣١

وذكر اليعقوبي أن ممن تهود من العرب اليمن بأسرها، كان تبع حمل حبرين من أحبار يهود إلى اليمن، فأبطل الأوثان، وتهود من باليمن (وهم يهود اليمن الذين قتلوا نصارى نجران بحادثة الأخدود المشهورة (سورة البروج ٨٥)).

وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام[1].

وقد ذكر علماء التفسير في تفسيرهم الآية الكريمة: ﴿لا إكراهَ فِي الدِّين قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[2] أنها نزلت في الأنصار. كانت المرأة المقلاة في الجاهلية تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده فتهود قوم منهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام، أو أنهم لما بقوا على يهوديتهم، وأمر اليهود وفيهم من هم شق على آبائهم ترك أبنائهم يذهبون مع اليهود. فقالوا يا رسول الله ابناؤنا وأخواننا فيهم. فسكت عنهم رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لا إكرَاهَ في الدِّين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغيِّ﴾[2] فقال رسول الله ﷺ قد خيّر أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فهم منهم.

وذكر العلماء أيضاً أن ناساً في الأنصار كانوا مسترضعين في بني قريظة وغيرهم من يهود فتهودوا.

فإن من الأنصار من رأى في الجاهلية أن اليهودية أفضل الأديان، فهودوا أولادهم، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه أرادوا إكراه أبنائهم الذين تهودوا على

---

(١) اليعقوبي ١/٢٢٦ وما بعدها

(٢) سورة البقرة اية (٢٥٦)

الدخول فيه فنزل الوحي بالآية المذكورة[1].

على أنه يجب أن لا يفهم من هذا أن كل يهود بلاد العرب من أصل يهودي فهناك الكثير من العرب المتهودين ولا سيما القبائل المسمّاة بأسماء عربية أصيلة لها صلة بالوثنية، مما يدل على أنها كانت وثنية قبل أن تتهود، وهناك الكثير من البطون العربية التي تهودت، فقد تهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، تهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان، وقوم من جذام، وقوم من بلى[2] ويرى بعض المؤرخين اليهود أن يهود جزيرة العرب كانوا في معزل عن بقية أبناء دينهم وانفصال، وأن اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أن يهود العربية مثلهم في العقيدة، بل رأوا أنهم لم يكونوا يهوداً لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية، ولم يخضعوا لأحكام التلمود، ولهذا لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في أخبار المؤلفين العبرانيين[3].

أما من ناحية الآراء الدينية والاعتقادية فقد يكون بين اليهود بعض الاختلاف، فقد وقع اختلاف في الآراء بين أحبار يهود العراق وبين أحبار يهود فلسطين، فلا يستبعد إذن رأي من يقول بوجود اختلاف في وجهات نظر يهود فلسطين بالنسبة ليهود الحجاز. إذ قد يكون يهود الحجاز ويهود جزيرة العرب قد تأثروا بالعرب الذين نزلوا بينهم فاضطروا إلى التخفيف عن التمسك بشعائر دينهم، ولا سيما وأنه من بين يهود جزيرة العرب يهود متهودون، وكانوا بالأصل من أروم ومن النبط ومن العرب، دخلوا في اليهودية لعوامل متعددة، فلم يكونوا لذلك على سنة اليهود الأصليين في

---

(١) الطبري ـ تفسير ٣/ ١٠ وما بعدها. القرطبي ـ تفسير ٣/ ٢٨٠ وما بعدها. ابن كثير ـ تفسير ١/ ٣١٨. محمع البيان ـ تفسير ١/ ٣٦٤، في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ١/ ٢٩٠، دراسات فى ناريخ العرب ـ مهران ص٤٥٤.

(٢) جواد علي ـ ناريخ ٦/ ٥٢٥. البعقوبي ١/ ٢٥٧.

(٣) حواد على ـ ناريخ ٦/ ٥١٤ـ٥١٥.

المحافظة على شريعتهم محافظة شديدة تامة[1].

والتاريخ الذي وجد اليهود في جزيرة العرب خاصة في الحجاز، وكان التأثير قوياً على اليهـود دون العرب. لم يتطرق هذا التأثير إلى عمق عقائدهم فيعيدهم قرنين، ولكن على الأقل غير كثيراً من معتقداتهم واتجاهاتهم واجتهاداتهم في اليهودية.

لقد ظهر بعض المتعمقين في اليهودية، إذ يرى بعض المستشرقين أن (شمعون التيماني) Simon & Temantte المذكور في التلمود والمدارس هو من أهل (تيماء) ولا يستبعد أن يكون من أهل هذه المدينة من حصل على شهرة في العلم بفقه اليهود وبأحوال دينهم فإن مركز (تيماء) وموقعها يجعلها من السهل على سكانها الوصول إلى فلسطين وبقية بلاد الشام وأخذ العلم من علماء تلك البلاد[2].

أما تأثر العرب باليهود فقد يكون محدوداً نظراً لانغلاق اليهود على أنفسهم، وعدم اندفاعهم لنشر دينهم. ولقد أخذ اليهود عن العرب كثيراً من العادات والتقاليد واللبـاس والطعام وبناء الآطام والتجارة والزراعة والتفاخر بالأنساب، ولكن العرب قليلاً منهم من دخل اليهودية إما وفاء لنذر، أو لأمر لا يعدُ كونه إيماناً بهذه الديانة.

ذكـر أهـل الأخبار أن (جبل بن جوان بن صفوان) الثعلبي من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان كان يهودياً فأسلم، فهو عربي يظهر أنه وأهله قبله قد تهودوا فكان على دين يهود، وعاش مع بني قريظة حتى اعتنق الإسلام[3].

وانغلاق اليهود على أنفسهم وماديتهم جعلت العرب ينظرون إليهم على أنهم

(١) جواد علي تاريخ ٥١٦/٦. دراسات في تاريخ العرب - مهران ص٤٥٤

(٢) حواد علي - تاريخ ٥٢٨/٦.

(٣) الإصابة ٢٢٣/١ وما بعدها رقم ١٠٧١ وذكر أسماء آخرين كانوا من متهودة الجاهلين، جواد علي - تاريخ ٥١٥/٦.

لا يتحلون بالصفات المطلوبة لدى العرب، وقصة السموأل بالوفاء لا تعدو أن تكون إحدى الشواذ في التاريخ اليهودي وتاريخ يهود جزيرة العرب على الأخص.

ومع أن المدينة تحوى أكبر تجمع لليهود إلاّ أن الحجاز قد توزع بها اليهود بشكل متباعد في مناطقة مختلفة.

٦ـ مواقع اليهود في الحجاز ـ عدا المدينة:

١ـ خيبر: وقد اشتهر يهود خيبر من بين سائر يهود الحجاز بشجاعتهم، وخيبر موضع غزير المياه كثيره، وقد عرف واشتهر بزراعته وبكثرة ما به من نخيل، وعند إجلاء اليهود عن خيبر تفرقوا فذهب بعض منهم إلى العراق، وبعض آخر إلى الشام، وبعض منهم إلى مصر. وقد بقوا في هذه المناطق متعصبين لوطنهم القديم خيبر ينادون بشعارهم الذي كانوا ينادون به قبل الإسلام وهو (يا آل يثرب).

وزعم أن يهود خيبر هم من نسل (ركاب) المذكور في التوراة[١] وأن يونادب جندب ابنه تبدى مع أتباعه وأبنائه، وعاش عيشة تقشف وزهد وخشونة، وأن نسلهم هاجر بعد خراب الهيكل الأول إلى الحجاز حتى بلغوا خيبر، فاستقروا بها، واشتغلوا بزراعة النخيل والحبوب، وأنهم أقاموا فيها قلاعاً وحصوناً تحميهم من غارات الأعراب عليهم، وذكر بعض الأخباريين أنها ولاية من سبعة حصون منها: حصن ناعم، والقنوص حصن ابن أبي الحقيق وهو أقواها وأعزها، وقد أقيم على مرتفع من الأرض حماه وعزز دفاعه. وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلالم، وحصن وجدة، وحصن الوطيح وحصن الكتيبة (الكثيبة)، وقد أخرجوا منها وأجلوا عنها زمن الخليفة عمر بن الخطاب[٢].

٢ـ وتيماء: من المواضع القديمة وقد سبق القول بأن الملك (بنونيد) قد أقام

---

(١) الملوك الثاني، الإصحاح الحادي عشر الآية ١٥ـ٢٨. حواد علي ـ تاريخ ٥٢٨/٦.

(٢) حواد علي ـ تاريخ ٥٢٦/٦ وما بعدها

زماناً فيها حيث اتخذها عاصمة له، وهي في موقع حسن، وملتقى طرق هامة يسكلها التجار، وقد استبد بها اليهود فأقاموا بها وجعلوها من أهم مستوطناتهم في الحجاز. استغلوا أرضها فزرعوها، واستنبطوا الماء من الآبار، بالإضافة إلى واحتها ذات المياه العذبة الغزيرة التي كانت ذات فضل في تكوين هذا الموقع وإعماره، وقد ذكرت في شعر (امرىء القيس) وفيها حصن السموأل بن عاديا المذكور في قصص امرىء القيس الشاعر.

وبعد أن فتح رسول الله ﷺ خيبر، وبلغ أهل تيماء ما حدث لإخوانهم في خيبر ووادي القرى وفدك قبلوا الجزية وصالحوا الرسول في سنة تسع للهجرة فضمن لهم بذلك حرية بقائهم في دينهم.

وعلى تيماء كان يشرف حصن السموأل (الأبلق)، وقد نعتت تيماء في بعض الأشعار بتيماء اليهود[1].

وتوجد اليوم بقية للأبلق الفرد الذي افتخر السموأل به، وكذلك يهود تيماء، وليس بمستبعد أن يكون ذلك الحصن من بقايا قصر (بنونيد)، أو من بقايا قصور رجاله، أو من بقايا أبنية غيره ممن نزل هذا المكان، وقد يكون بناءً أقامه السموأل وبناه بحجر تلك الأبنية القديمة، وقد أكسب قصر السموأل هذا الموضع شهرة، وأكسبه خبر وفاء السموأل شهرة كذلك على النحو المذكور في كتب الأدب والأخبار[2].

٣ـ وفدك: موضع آخر من المواضع التي غلب عليه اليهود، وسكانه مثل أغلب يهود الحجاز مزارعون، عاشوا على الزراعة كما اشتغلوا بالتجارة وببعض الحرف

---

(١) معجم البلدان ـ الحموي ٢/٤٤٢. فتوح البلدان ـ البلاذري ١/٢٩، جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٢٨.

(٢) جواد علي ٦/٥٢٩.

التي تخصص بها اليهود مثل الصباغة والحدادة والنجارة، والموضع من المواضع القـديمـة التي يعود عهدها إلى ما قبل الإسلام وقد ذكره الملك بنونيد في جملة المواضع التي زارها والتي خضعت لحكمه في الحجاز، وكان رئيس فدك عند ظهور الإسلام وهجرة الرسول إلى يثرب (يوشع بن نون)(١).

٤ـ وادي القرى: وهو من المواضع التي غصت باليهود، فكان أكثر أهله منهم، وقد كان يهوده من المزارعين، وقد حفروا به الآبار، وتحالفوا مع الأعراب، عاشوا معهم متحالفين يعملون بالزرع، وقد غزاهم الرسول ﷺ سنة سبع للهجرة على أثر إصابة (مدعم الأسود) مولى الرسول بسهم غارب قتله. وهو مولى مولد من (حسمى) كان أهداه (رفاعة بن زيد الجذامي) أو (فروة بن عمرو الجذامي)(٢).

٥ـ وكان بين أهل مقنا وأيلة في أيام الرسول ﷺ قوم من اليهود كذلك. وكذلك أهل بقية القرى الواقعة في أعالي الحجاز وعلى ساحل البحر الأحمر، وقد صالحوا الرسول على الجزية، وبذلك ضمنوا لهم البقاء في هذه الأنحاء. ومن هؤلاء اليهود (بنو جنبه) وهم يهود من (مقنا)، (وبنو غاديا)، (وبنو عريض)(٣).

٦ـ وكان بالطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فجاؤوا إليها، ولم تكن قد أسلمت بعد فأقاموا بها للتجارة، فلما صالح أهل الطائف الرسول ﷺ على أن يسلموا ويقرهم على ما هم في أيديهم من أموالهم، وركائزهم، واشترط عليهم أن لا يرابـوا، ولا يشـربوا الخمر، وكانوا أصحاب (ربا)، وضعت الجزية على يهودها وبقوا فيها ومن بعضهم ابتاع أمواله بالطائف.

٧ـ ويظهر أنه لم تكن لليهود جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن لعدم إشارة أهل الأخبار لهم، وإن كنت لا أستبعد وجود أفراد وأسر منهم في مكة وفي عدن

---

(١)، (٢) جواد علي ٦/٥٢٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي ـ صيف ٥٤ مكة ـ أبو الفضل ص٩٠.

وفي المدن التي اشتهرت بالتجارة كبعض موانىء البحر الأحمر، وموانىء سواحل العربية الجنوبية، غير أن وجودهم في هذه المواضع لم يكن له أثر واضح مهم، فلم يتجاوز محيط التجارة والاتجار(١).

بعض من خصائص حياة يهود:

١ـ الحكم: ومع ما كان لليهود من قلاع وآطام وقرى عاشوا فيها متكتلين مستقلين لم يتمكنوا من بسط نفوذهم وسلطانهم على الأرضين التي أنشأوا مستوطناتهم بها، ولم يتمكنوا من انشاء ممالك وحكومات يحكمها حكام يهود، بل كانوا مستقلين في حماية سادات القبائل يؤدون إليهم الأتاوة في كل عام مقابل حمايتهم لهم ودفاعهم عنهم، ومنع الأعراب من التعدي عليهم، وقد لجأوا إلى عقد المحالفات معهم فكان لكل زعيم يهودي حليف من الأعراب ومن رؤساء العرب المتحضرين.

وكان اليهود يخضعون في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وساداتهم يدفعون لهم ما هو مفروض عليهم أداؤه كل سنة، وهؤلاء السادة هم أصحاب الآطام والحصون والأرض ولمن يشتغل في الأرض تسديد ما عليه لصاحبها في مقابل استغلاله لها، وقد اعتنوا عناية خاصة بزراعة النخيل، وعرفت قطعة الأرض المزروعة نخلاً عندهم بالصورين (لصور)(٢). الصور: أصل النخل، والصور النخلة(٣).

ولما كانت الأرضون المزروعة واسعة كانت خارج الآطام والحصون، يحميها حراسها والمشتغلون بها أيام ثمرتها، وأما في أيام الغزو والحروب فقد كانت معرضة لهجوم المهاجمين، وهذا ما كان يعرض أعظم غلة لليهود للخطر، ولهذا شق عليهم

---

(١) تاريخ الأدب العربي ـ ضيف ٥٤. مكة ـ أبو الفضل ص٩٠.

(٢) الروض الأنف ـ السهيلي ١٩٤/٢ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ١٩٥/٢.

(٣) تاج العروس ٣٤٣/٣.

كثيراً، وانهارت مقاومتهم حين أمر الرسول بقطع النخل وتحريقه، وأخذوا يلتمسون وقف ذلك.

ويتولى الأحبار اليهود الأمور الدينية، وتنفيذ الأحكام، والنظر فيما يحدث بين الناس من خصومات، يقيمون لهم الصلوات وبقية شعائر دينهم، ويعلمونهم في بيوت (المدراس)[1]. وفي المعارك والخصومات التي تقع بين اليهود كانوا يؤدون (الدية)، وهي على ما يظهر من روايات أهل الأخبار مختلفة وغير متكافئة، فكان يهود بني النضير يؤدون (الدية) كاملة لشرفهم في يهود، أما بنو قريظة فكانوا يؤدون نصف الدية. وفي خلاف في اداء الدية وقع بينهم، التجؤوا إلى رسول الله للحكم بينهم، فذكروا له هذا الاختلاف فحكم بالدية متساوية وفي هذا الحكم نزلت الآية الكريمة: ﴿سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ أَكَّالُونَ للسُّحُتِ فإن جَاؤُوكَ فاحْكُمْ بَيْنَهُم...﴾[2].

ذكر علماء التفسير عن ابن عباس أنه قال: كانت قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قُتل به، وإن قَتَل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي به مائة وسق من تمر، فلما بعث رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿وإنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بالقِسْطِ.. والنَّفْسُ بالنَّفْسِ..﴾ ونزلت: ﴿أفحكم الجاهلية...﴾[3].

وذكر علماء التفسير في تفسيرهم للآيات المتقدمة، أن أحبار اليهود لم يكونوا يحكمون بالحق فيما بين الناس، وكانوا يحاربون ويتحزبون ويحكمون بالباطل، ويأكلون السحت (الرشا) جزاء حكمهم بالباطل، وكانوا يتساهلون في تطبيق أحكام الشريعة مع الشريف لشرفه ويتشددون مع الدنيء لدناءته وفقر حالته، يراعون التساوي في أخذ الديات، كان الشريف إذا زنى بالدنيئة رجموها وحموا وجه الشريف وحملوه على البعير، أو جعلوا وجهه من قبل ذنب البعير وإذا زنى الدنيء بالشريفة

(١) جواد علي ـ ناريخ ٦/٥٣٣

(٢) سورة المائدة آية (٤٢)

(٣) سورة المائدة الآيات (٤٢ـ٥٠).

رجموه، وكان هذا شأنهم.

وذكر أن حُيي بن أخطب كان قد تكلم أن للنضري ديتان وللقرظي دية لأنه كان من النضير[1] وذكر أهل الأخبار أنه كان لليهود حكام يحكمون بينهم، ويقيمون حدودهم عليهم، فلما جاء الرسول إلى يثرب صار اليهود يعترضون على عدالة حكم بعضهم، ولا يرضون بتنفيذ أحكامهم عليهم. فكان الحكام أو هم يذهبون إلى الرسول لكي يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون وفق شريعتهم[2].

فقد كانوا يتحاكمون إليه ويأخذون برأيه، وكان المقدم عندهم وعند الأوس والخزرج، حتى أن الأنصار كانوا يتحاكمون إليه[3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود اختلاف بين بني إسرائيل في فهم (كتاب الله) وتفسيره، وأنهم انقسموا لذلك شيعاً وأحزاباً، ولا يستبعد أن يكون هذا الاختلاف شاملاً ليهود الحجاز أيضاً كأن يكون أحبارهم ساروا في اتجاهات مختلفة من التفاسير، وفي شرح الأحكام وكان أصحابهم يتعصبون لهم ويتحزبون على نمط الأعراب في عصبيتهم لقبائلهم، وفي اتباع أقوال ساداتهم دون تعقل أو تفكير[4].

العلاقات الداخلية والخارجية مع العرب:

عمد اليهود إلى استغلال الأحقاد والبغضاء الكمينة التي كانت في نفوس أهل يثرب من الأوس والخزرج من أيام الجاهلية فأثاروها[5]. وهذا ما كانوا عليه قبل الإسلام - إذ أنهم كانوايذكون نار العداوة والبغضاء، ويحالفون القوم، ويأخذون من الحروب الغنائم ونادراً ما كانوا يدخلون في تلك الحروب.

---

(١) الطبري - تاريخ ٦/١٥٧.

(٢) جواد علي - تاريخ ٦/ ٥٣٤-٥٣٥. القرطبي - تفسير ٦/١٨٧.

(٣) جواد علي - تاريخ ٦/٥٤٧

(٤) المصدر السابق ٦/٥٥٦

(٥) المصدر السابق ٦/٥٤٩.

وقد كانت اليهود قانعة بما أُوتيت وبما كسبته من مواطن وتجارة، إن وجدت سبيلاً إلى إقناع سادات القبائل والأمراء والملوك بالتهود والدخول في دعوتها فذلك خير وتوفيق وإن لم تجد في هؤلاء ميلاً إلى اليهودية رضيت منهم باكتساب العطف والحماية ورعايتهم في تحصيل ديونهم، والأرباح التي يحصلون عليها من الربا، وبالسماح لهم بالتجارة والبيع والشراء وهو ما يصبو إليه كل يهودي.

لذلك نستطيع القول بأن اليهودية عند ظهور الإسلام كانت من ناحية التبشير جامدة خامدة لا يهمها نشر الدين بقدر ما تهمها المحافظة على الحياة، وعلى المركز الذي توصلت إليه، وعلى تجارتها التي تعود عليها بمال غزير، فكانت لهذا لا تهتم إلا بحركة تجد فيها فائدة لها ومنفعة ترتجى منها، ولا تحارب رأياً إلاّ إذا وجدت أنه سيكون خطراً عليها، فحاربت النصرانية في اليمن لما وجدت الروم يسيرون على سياسة معادية لليهود، وأن النصرانية مهما كانت كنيستها هي فرع من شجرة واحدة هي الشجرة التي يقدمها ويحميها الروم: فامتداد أي فرع منها إلى اليمن كفيل بإلحاق الأذى الذي لاقاه أخوانهم من البيزنطيين بهم، وحاربت الإسلام بعد هجرة الرسول إلى المدينة لما تبين لها أنه يدعو إلى رب العالمين، وأنه لم يكن على ما ظنته حينما سمعت بدعوة الرسول وهو في مكة من أنه سيخضع لها أو سيميل إليها، فتستفيد منه على الأقل، فلما وجدت الأمر على غير ما ظنت عندئذ خاصمته وانضمت إلى المشركين في محاربة الإسلام.

ولسنا نجد بين القبائل العربية يهوداً وفدوا إليها وأحباراً سكنوا بينها لإقناعها بمختلف الوسائل والطرق للدخول في دين اليهود، نعم لم يفعل هذا اليهود كما فعله النصارى، ولهذا انحصرت سكنى اليهود عند ظهور الإسلام عند هذه المواضع الخصبة، وطرق المواصلات، والتجارة البرية والبحرية في جزيرة العرب، وانحصر عملهم في التجارة وفي الربا وفي الزراعة، وفي بعض الصناعات التي تخصصوا

بها، وهي أمور جعلت لهم نفوذاً عند سادات القبائل والأمراء والملوك[1].

٧ ـ الحياة الاقتصادية عند اليهود:

وكانت يثرب عند هجرة الرسول إليها في أيدي أصحابها الأوس والخزرج لهم السيطرة والسلطان ولليهود آطامهم وقلاعهم في خيبر وفي تيماء وفي بعض قرى وادي القرى، وفي أعالي الحجاز عدا عن يثرب. . يتاجرون، ويزرعون ويقرضون الأموال بالربا الفاحش للأعراب، ويحترفون بعض الحرف مثل الصياغة، وهي حرفة اشتهروا بها منذ القديم، ويعقدون الأسواق ليقصدها الأعراب للاتجار.

وكان جل اعتماد اليهود في هذه المنطقة عند ظهور الإسلام على التجارة ومعاطاة الربا والزرع وبعض أنواع الصناعة، ومن الصناعات التي اشتغل بها اليهود النسيج، وهو من اختصاص نسائهم على الأكثر والصياغة وقد اختص بها بنو قينقاع، والحدادة، وهي صناعة يأنف منها العرب ويزدرونها ويرونها من الحرف الممقوتة الحقيرة[2].

الحياة الدينية والفكرية عند اليهود:

تعرض ابن خلدون لموضوع علم اليهود العرب وثقافتهم فقال: «إذا تشوقت العرب إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ، بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا أبقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل: أخبار بدء الخليقة،

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٥٤٩/٦.

(٢) المصدر السابق ٥٣٢/٦.

وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك»[1].

فغالبية يهود جزيرة العرب في الجاهلية هم في مستوى يعد دون مستوى يهود البلاد الأخرى بسبب تبديهم وانقطاعهم عن غيرهم من اليهود.

وقد كانت لليهود مدارس تدارسوا فيها أحكام شريعتهم، وكان لهم أحبار وحاخامون علموهم أمور دينهم، ويتدارس فيها رجال دينهم أحكام شريعتهم، وأيامهم الماضية، وأخبار الرسل والأنبياء وما جاء في التوراة والمنشا وغير ذلك، وعرفت بين الجاهليين بـ«المدراس» و«بيت المدراس» و«المدراش»، وأطلق الجاهليون على الموضع الذي يتعبد اليهود فيه (الكنيس) و(كنيسة اليهود) تميزاً لهذه الكنيسة عن (الكنيسة) التي هي لفظة خاصة بموضع عبادة النصارى[2].

قال ابن عباس رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: «على ملةِ إبراهيم ودينه»، فقالوا: فإن إبراهيم كان يهودياً.. فقال لهم رسول الله ﷺ: «فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»، فأبوا عليه. وقد وقع جدل بين المسلمين وبين سادات يهود أثار نزاعاً بين الطرفين.

دخل أبو بكر «بيت المدراس» فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمع إلى رجل منهم يقال له (فنحاص) كان من علمائهم وأحبارهم، ومعهم حبر يُقال له (أشيع) فقال أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما

---

(١) ابن خلدون ـ تاريخ ١/٤٣٩، جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٥٧.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٥٠.

(٣) جواد علي ـ تاريخ ٥٥١ حاشية الطبري ٧/١٤٥.

يتضرع إلينا، وإنا إليه لأغنياء، ولو كان غنياً عنا ما أعطانا الربا؟ فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أغنياءُ سنكتُبُ ما قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأنبياءَ بِغيرِ حَقٍ ونَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قدَّمت أيدِيكُم وأنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ للعبيدِ﴾[1].

ووقع مثل ذلك في مناسبات أخرى[2].

وعرفت مساجد اليهود أي المواضع التي كانوا يصلون فيها (بالمحاريب) جمع محراب. أما في النصرانية فقد خصصت الكلمة بصدر الكنائس، وذلك على ما يفهم من الكلمة في الإسلام.

وعرف علماء اليهود ورجال دينهم (بالأحبار) جمع (الحبر) وبـ (الربانيين) وقد وردت الكلمتان في القرآن الكريم[3]. وتبين من القرآن الكريم أنه كان للأحبار والربانيين نفوذ عظيم على اليهود، فكانوا يطيعون أوامرهم، ويفعلون ما يأمرونهم، وأن غالبيتهم لم تكن تفقه شيئاً، ولا تعرف من أحكام دينها إلا ما يقوله لهم أولئك الأحبار، وبعض هؤلاء الأحبار هم من المقيمين في جزيرة العرب في المواطن التي أقامت فيها يهود. وبعض منهم كان يأتي إلى يهود العرب من فلسطين ولا سيما من (طبرية) التي اكتسبت شهرة عظيمة بعد خراب بيت المقدس (أورشليم) حيث استقر بها (السنهدريم)، وغدت مركزاً عظيماً للعلوم عند اليهود وفيها جمعت (المشنة) (المشنا MESHNA) (والماسورة) الكتاب الذي يبين كيفية تحريك كلمات التوراة[4].

---

(١) سورة آل عمران آية (١٨١-١٨٢)، تفسير الطبري ٥٤٨/١

(٢) جواد علي - تاريخ ٥٤٨/٦.

(٣) المائدة ٤٤، ٦٣، سورة التوبة ٣١، ٣٤، جواد علي - تاريخ ٥٥١/٦.

(٤) جواد علي - تاريخ ٥٥٢/٦.

وذكر أهل الأخبار أنهم كانوا يكتبون بالعبرانية أو السريانية، وذلك لاختلاف في أهل الأخبار في تعيين تلك اللغة وعدم تمكنهم من التمييز بينها.

وفي كتب الأخبار والتواريخ إشارات إلى اتصال بعض رجال مكة ويثرب باليهود، والاستفسار منهم عن أمور الرسل والأنبياء الماضين، وعن بعض الأحكام، وفيها قصص إسرائيلي وجَدَ لَهُ سبيلاً إلى العربية، يرويه القصاصون على الرسل والأنبياء، وأساطير لا يشك في كونها إسرائيلية الأصل كما نجد ألفاظاً عبرانية لا شك في أصلها وجدت لها سبيلاً إلى عربية الجاهليين بسبب اتصال اليهود بهم واستعمالهم إياها.

وقد تأثر بهم الجاهليون، وأخذوها منهم واستعملوها أيضاً فصارت من المعربات. ويسنب إلى الشاعر (الأسود بن يعفر) بيت شعر هو:

سطور يهود بين في مهرقتيهما　　مجيدين من تيماء أو أهل مدين[1]

وإذا صحت نسبة هذا البيت إليه يكون قد تعرف على يهوديين اثنين، وجدهما يجيدان الكتابة وقد كتب عن المهارق، ولم يكن الشاعر على علم أكيد بموطنهما، فلم يدر إذا كانا من أهل تيماء أو من أهل مدين.

ذكر القلقشندي: أن المشهور من ألقاب أرباب الوظائف عند اليهود ثلاثة ألقاب:

الأول: (الرئيس) وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى.
الثاني: (الحزان) وهو فيهم بمثابة الخطيب، يصعد المنبر ويعظهم.
الثالث: (الشيلحصبور) وهو الإمام الذي يصلي بهم[2].

وأطلق القرآن الكريم على أسفار اليهود أي كتبهم المقدسة (التوراة) وعرفت

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٥٨.　　(٢) صبح الأعشى ـ القلقشندي ٥/٤٧٤.

بهذه التسمية في الحديث الشريف، وفي كتب التفسير، وصارت علماً لها في الإسلام.

كذلك أطلقت هذه اللفظة على معابد يهود، ولم يعرف ورودها في الشعر الجاهلي خلا بيتاً ينسب إلى شاعر جاهلي يهودي اسمه (سماك)[1]. والتوراة الآن توسعت لتشمل كل أسفارهم، ونبؤات أنبيائهم وتقع تحت اسم(العهد القديم) أو (العهد العتيق) من الكتاب المقدس المتداول الآن والذي تقوم المدارس التبشيرية والكنيسة النصرانية والحكومات المسيحية بتبنيه، أما العهد الجديد من نفس هذا الكتاب فيشمل أربعة أناجيل معترف بها ورسائل بولس، وهذه جمعت كلها في الكتاب المقدس عند الكنائس النصرانية[2].

ونحن لا نتصور أن سواد يهود الجاهلية كانوا على علم بالكتابة والقراءة، ثم بأحوال دينهم وأموره، وفي القرآن الكريم أن هذا السواد كان جاهلاً ليس له علم ولا خبر بأمور دينه وشريعته، وأنه مقلد تابع لما يقوله له أحباره وربانيوه، فكل ما كانوا يقولونه كانوا يرونه حقاً وعلماً.

قال تعالى: ﴿وَمِنهُم أُميُّونَ لا يَعلَمُونَ الكِتَابَ إلَّا أمانِيَّ وإن هُم إلَّا يَظُنُّونَ﴾[3] مع أن من بين أولئك كان دجالاً ليس على درجة من دراية وعلم، ومن كان ينطق بالباطل ولا يخشى الكذب لينال بذلك مكسباً ومالاً، وأنه كان لهؤلاء على اتباعهم وبقلوبهم سلطان عظيم[4].

ولم يظهر في يهود جزيرة العرب من حاز على شهرة في العلم والفقه والتأليف

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٥٣.

(٢) الكتاب المقدس (طبع دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط).

(٣) سورة البقرة آية (٧٨). تفسير القرطبي ١/٣٩٦ وما بعد.

(٤) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٥٧.

والخطابة على نحو ما ظهر بين يهود العراق أو فلسطين أو مصر، وإلا لاشتهر أمره، وذاع خبره، كما ذاع خبر علماء يهود بابل وفلسطين ومصر، ولا يمكن أن تكون عزلتهم عن بقية يهود الأقطار المذكورة سبباً كافياً في تقليل عدم شيوع اسم أحد من هؤلاء(1).

وقد عرف يهود يثرب بمعرفتهم السحر والاتقاء منه، وبعلمهم بالتعاويذ. فكان المشركون يلجؤون إليهم إذا احتاجوا إلى السحر إذا اعترضتهم مشكلات يرون أنها لا تحل إلا بقراءة التعاويذ عليها. وقد ذكر المفسرون أن اليهود عملوا السحر للنبي ﷺ، عمله رجل اسمه (لبيد بن أعصم) أو بناته وهو من يهود يثرب(2).

وقد أشير إلى سحر اليهود في الحديث الشريف(3).

وقد لجأ العرب إلى اليهود يأخذون منهم الرقي والتعاويذ، فقد ورد في الأخبار أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها. . فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله يعني بالتوراة والإنجيل(4).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الرقي والتمائم والقولة شرك»، فقالت امرأته زينب: كيف هذا؟ والله لقد كانت عيني تقذف فكنت اختلف إلى فلان اليهودي فيرقيها فتسكن، قال: «ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي ما كان النبي يقول: اذهب البأس رب الناس. اشف أنت الشافي. لا شفاء إلا شفاؤك شفاءاً لا يغادر سقماً» (رواه أبو داوود ابن ماجه).

---

(1) المصدر السابق ٦/٥٥٩.

(2) الطبري ـ تفسير ٣١/٢٢٦. الطبري ـ تفسير ٥/٥٦٨.

(3) صحيح البخاري ـ باب السحر

(4) جواد علي ـ تاريخ ٦/٥٦٠.

وقد اختلف يهود جزيرة العرب عن الجاهليين في الأمور التي حرمتها شريعتهم عليهم في مثل المأكولات، كما اختلفوا عنهم في عبادتهم وفي اعتقادهم بوجود إله واحد هو (إله إسرائيل) وفي أمور عقائدية أخرى، واختلفوا عنهم في بعض العادات والمظاهر الخارجية، فكان اليهود مثلاً يسدلون شعورهم، أما المشركون فكانوا يفرقون رؤوسهم.

وقد ظهر بين اليهود شعراء نظموا الشعر بالعربية، وعلى طريقة العرب في نظم الشعر منهم السموأل المشهور، وكعب بن الأشرف، وسماك اليهودي[1].

وبعد هذا فإننا نستطيع أن نقف على الملاحظات التالية حول يهود يثرب خاصة ويهود جزيرة العرب عامة.

١ـ وفد اليهود إلى جزيرة العرب نتيجة الاضطهاد الذي لحق بهم إبّان تاريخهم الطويل والذي كانوا هم سبباً له مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَقَضينا إلى بَنِي إسرائِيلَ فِي الكتَابِ لَتُفسِدُنَّ فِي الأرضِ مَرَّتَينِ وَلَتعلُنَّ عُلُواً كَبيراً. فإذَا جَاءَ وعَدُ أُولاهُمَا بَعَثنا عَلَيكم عِبَاداً لَنَا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيارِ وكَانَ وعداً مَفْعُولاً. ثُمَّ رَدَدْنَا لكُم الكَرَّةَ عليهم وأمددناكُم بأموالٍ وَبنِينَ وَجَعلنَاكُم أكثرَ نَفِيراً. إن أحسنتُمْ أحسنتُمْ لِأنفُسِكُم وإن أسأتُمْ فَلَهَا فَإذا جَاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤوا وُجُوهَكُم وَلِيَدْخُلوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِروا مَا عَلَوا تتبيراً. عَسَى رَبُّكُم أن يَرْحَمَكُم وإن عُدتُم عُدْنا وَجَعَلنَا جَهَنَّمَ لِلكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[2].

(١) جواد علي ـ ناريح ٦/ ٥٦١ و٦/ ٥٦٩ و٩/ ٧٦٨ـ٧٩١.

(٢) سوره الإسرا، ايه (٤ـ٨)، في طلال الفرآن ـ سيد فطب ٣/ ٢٢١٢ـ٢٢١٣. تفسير النسفي ٣/ ٢٣٦.
مجمع البيان ـ الطبرى ٦/ ٣٩٧، اس كثير ـ تفسير ٣/ ٢٧ـ٢٨.

٢ـ وصل اليهود إلى بلاد العرب وكان يسكنها العماليق، وجاوروهم فترة طويلة ثم تمكنوا منهم وحكموا في عدة مناطق أهمها ـ يثرب ـ موضوع بحثنا ـ ومناطق أخرى من جزيرة العرب خاصة في الحجاز واليمن، فطغوا وبغوا، وعادوا إلى فحشهم وطغيانهم، واستأثر ملكهم (الفطيون) بالكثير من عادات الجبابرة والطغاة. كما اتخذوا لهم مواقع وموانع يتقون بها شر هجمات الأعراب والغزاة.

٣ـ تمكنت قبيلتا الأوس والخزرج من السيطرة على المدينة بالاستعانة بأبناء عمومتهم الغساسنة وأصبحت يثرب خالصة لهم، وليس ليهود إلا القيام ببعض الخدمات كالزراعة والتجارة وشيء من الصناعة، ولكنهم كانوا يستغلون فترات التناحر والعصبية بين القبيلتين فيثيرون القوم ويوقعونهم في حروب دائمة.

٤ـ انكمش اليهود بعدها في حصونهم وآطامهم، يعيشون حياتهم غير عابئين بانتشار دينهم أو انحساره، مكتفين بما عندهم والمحافظة على حياتهم، ولقد تأثروا بالعرب كثيراً في المأكل والمشرب والملبس والمسميات، واختلفت بهم بعض المظاهر عن العرب مثل اللباس والشعر وغير ذلك.

٥ـ تميزت فترات وجودهم بين الأوس والخزرج بالكثير من الدسائس، وكان مبرر بقائهم في المدينة على هذا الحال بأن المدينة ستكون مهاجر نبي آخر الزمان يحاربون معه ويسودون ثانية وتعود لهم العزة والمنعة، وهذا ما أعدوا أنفسهم له خلال الفترة التي سبقت بعثة الرسول ﷺ.

٦ـ عملوا بالمهن المختلفة وخاصة ما يأنفه العرب من حرف كالحدادة والصياغة والحياكة وغير ذلك، وعملوا بالزراعة والتجارة، وكانت لهم أسواقهم ومعاملاتهم التجارية المختلفة، وأكدوا على قضية الربا والتي تمكنوا بواسطتها إخضاع الكثير من السادة والمتنفذين، وكانت عاداتهم الدينية تطغى على حياتهم، مثل الختان، والذبح، ومعاقبة الزناة والسارقين وغير ذلك من أوامر التوراة، إلاّ أن قوة تمسكهم

بالدين اليهودي لم تصل إلى مرتبة أقرانهم في فلسطين ومصر واليمن.

٧ـ تميزت حياتهم بأنهـا قريبة من الحياة البدوية، وتأثروا بحياة البدو بشكل كبير، ولذلك فقد انتشرت الأمية بينهم، ولم تعرف اللغة العبرية عند الجميع ولا العربية أيضاً، وهذا جعلهم متساوين مع العرب بالثقافة وفنون المعرفة، ولم يظهر منهم علماء أو فقهاء في الدين اليهودي.

٨ـ وقفوا من الدعوة الإسلامية موقف المهادن في مراحلها الأولى، إلى أن شعروا بخطر هذه الدعوة عليهم بعد هجرة الرسول ﷺ، فأخذوا يكيدون للإسلام واستمراء واستمرار عداوته وتحالفوا مع العديد من القبائل ضد المسلمين، فحاربهم الرسول ﷺ وأجلاهم في البداية عن المدينة وقضى على بني قريظة أحد فروعهم، وتابع عمر بن الخطاب فأجلاهم عن الجزيرة نهائياً.

٩ـ قالوا الشعر وتحدثوا بالعربية، وكتبوا بها، وجل أدبهم مسجل بها ومناظراتهم ومحـادثاتهم وردودهم، وأسئلتهم وأجوبتهم التي كانوا يحاولون تعجيز الرسول ﷺ للتشكيك بنبويته كلها كانت بالعربية، ولم يسجل لهم أدب أو فقه أو اجتهاد بالعبرية أو لغة أرم.

١٠ـ وعلى العموم فقد بقي اليهود غرباء عن المجتمع الذي عاشوا فيه رغم انقضاء فترات طويلة على وجودهم في الحجاز، فلم تكن تلك المناطق ذات قدسية خاصة يرتبطون بها، ويرغبون بالاستمرار بجانبها ولم تتعدى قوى اليهود أكثر مما ذكر في كتب الأخباريين والسير عدا أصحاب خيبر الذين كانوا أصحاب قوة ونفوذ وذلك لعدم وجود منافس لهم في محيطهم.

القسم الثالث

العرب

العَرَبُ: بالضم وبالتحريك خِلافُ العجم مؤنث، وهم سكان الأمصار أو عامٌ.

والأَعْرَابُ: منهم سكان البادية لا واحدة لها. ويجمع أَعَارِيب.

وعَرَبٌ عَارِبَةٌ وعَرْباً وعَرِبَةٌ صُرحَاء.

ومُتَعَرِّبَةٌ ومُسْتَعْرِبَةٌ: دخلاء.

وعَرَبيٌّ: بَيِّنُ العُرُوبَةِ والعُرُوبِيَّةِ.

والعَرَبِيُّ: شعير أبيض، وسنبلة حرفان.

والإِعْرَابُ: الإِبَانَةِ والإِفصاحِ (عن الشيء)[1].

عَ رَ بَ ـ (العَرَبُ) جيل من الناس، والنسبة إليهم عَرَبِيٌّ، وهم أهل الأمصار.

والأعْرابُ: فهم سكان البادية خاصة، والنسبة إليهم أعْرَابِي.

وليس الأَعْرابُ جمعاً لِعَرَبْ، بل هو إسم جنس.

والعَـرَبُ العـاربـة: الخُلَّص منهم، أكِّد من لفظه (كَلَيْلٍ لأئِلٍ) وربما قالوا (العْرَبُ العُرَبَاءُ).

وتَعَرَّبَ: تَشَبَّه بالعَرَب.

والعَرَبُ المُسْتَعْرِبة: بكسر الراء، الذين ليسوا بِخُلَّصْ، وكذا المُستَعَرِّبة: بكسر الرَّاء وتشديدها.

والعَرَبِيَّةُ: هي هذه اللغة.

---

(١) القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي١/١٠٦ مادة «عرب».

والعَرَبُ والعُرْبُ: واحد كالعَجَمِ والعُجْمِ.

أَعْرَبَ بِحُجَّتِهِ: أفصح بها ولم يتق أحداً، وفي الحديث: الثَّيِّقُ تُعْرِبُ عن نفسها (أي تفصح)[1].

وجـاء الإسلام، ونزل القرآن الكريم منجماً في ثلاث وعشرين سنة في مكة والمدينة، فلم يرد فيه من الجزرع ـ ر ـ ب إلّا ثلاث صيغ:

١ـ عُرُباً: جمع عَرْبٍ (بفتح العين) نعتاً للمرأة المتحببة إلى زوجها ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾[2].

٢ـ أَعْرابُ: وردت عشر مرات في سور مدنية فقط، منها ست مرات في سورة التوبة وحدها، ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد على أن كلمة (الإعْراب) تدل في القرآن وفي غير القرآن على البدو.

٣ـ أما الكلمة الفاصلة في هذا الشأن فهي كلمة «عَرِبَي» التي وردت في القرآن الكريم إحدى عشر مرة في سور مدنية وسور مكية أيضاً، غير أن هذه الكلمة وردت عشر مرات نصاً للغة التي نزل بها القرآن الكريم، بأنها لغة واضحة بينة من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ﴾[3] أي تفهمون. ويبدو أن هنالك مكـانـاً واحـداً استعملت فيه الكلمة «عربي» لتنعت شخص الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرانًا أَعْجَمِيّاً لَقَالَوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأعجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[4] أي أكتاب أعجمي اللغة ونبي عربي..؟

إن استعمال كلمة (عربي) في القرآن الكريم دلت الشعراء على التعبير الذي عجز عن النطق به أو تحديده السابقون أمثال (عنترة) ومنذ السنة الثالثة للهجرة قال

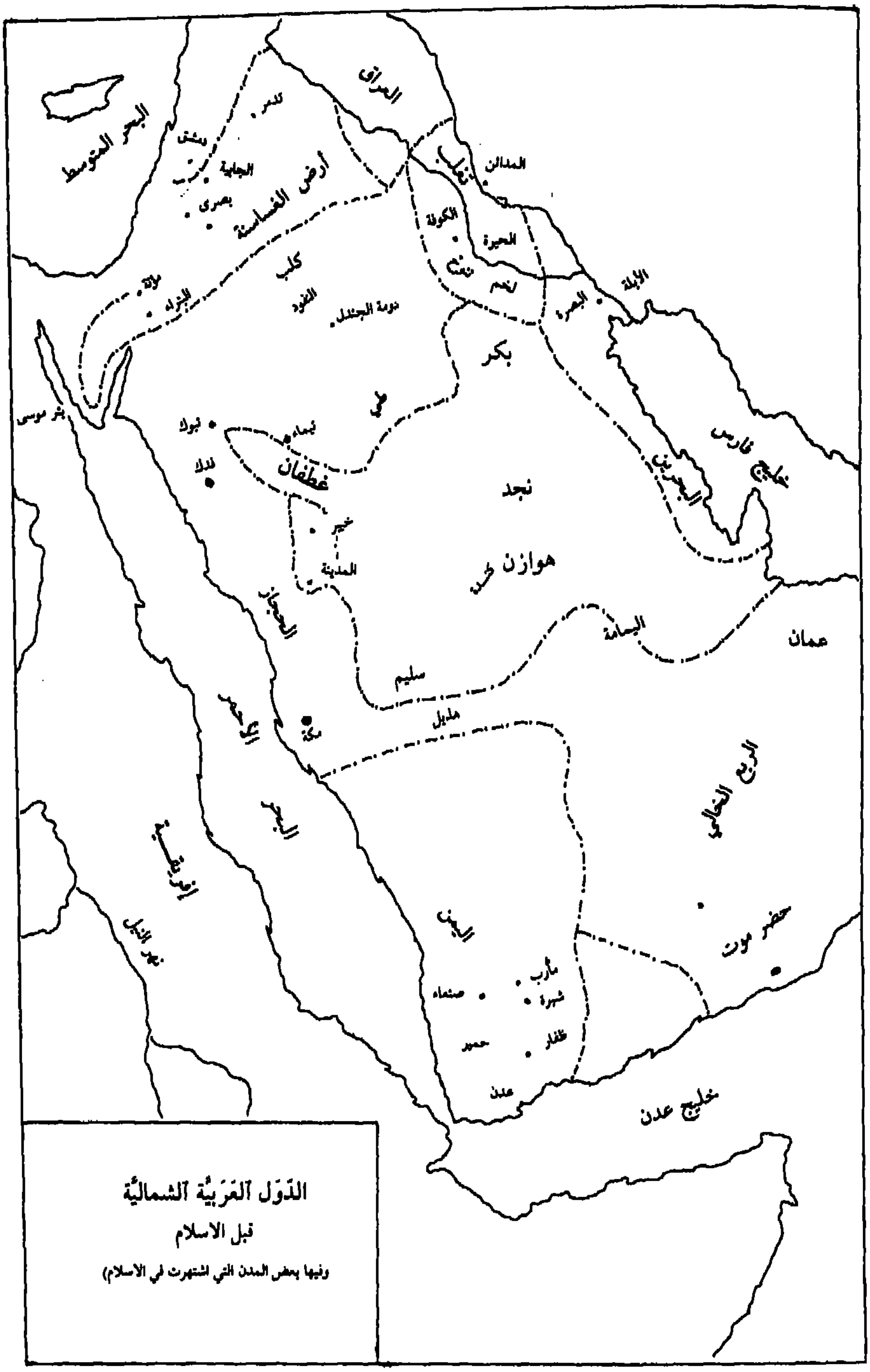
---

(٢) مختار الصحاح ـ الرازي ص٤٢٢، تهذيب الصحاح ـ الزنجاني ١/٧٥.

(٢) سورة الواقعة آية (٣٧).

(٣) سورة يوسف آية (٢). (٤) سورة فصلت آية (٤٤).

شبه جزيرة العرب



خريطة مأخوذة عن تاريخ العرب المطوّل لفيليب حتي، عن كتاب ـ الحضارات ـ للبيب عبد الساتر

كعب بن مالك يذكر رسول الله ﷺ :

بدا لنـــا فاتـبـعنـاه نصــدقــه   وكـذبـوه، فكنـا أسعـد العـرب

وقال حسان بن ثابت يقرع بني هذيل عندما اشترطوا على الرسول أن يحل لهم الزنى عند دخولهم الإسلام :

سألت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

سألـوا رسولهم ما ليس معطيهم   حتى الممات وكانوا سبة العرب(1)

إن أصـل كلمة (عرب) غير معروف بالتحديد، رغم التفاسير المختلفة التي يقدمها علماء اللغة (والفيلولوجيون). ويقول بعضهم، إن الكلمة مشتقة من أصل سامي معناه (الغرب) وأن سكان ما بين النهرين كانوا أول من أطلقها على الأقوام التي تسكن (غـرب) منطقة وادي الفرات، على أن هذا القول صعب الإثبات، وتقدم حجج كثيرة ضده، أهمها الاعتراض الذي قد يثار من أنه ليس معقولاً أن يسمى شعب نفسه باسم مشتق من موقعه بالنسبة لشعب آخر، ولعل محاولات ربط أصل الكلمة بقضية حياة البداوة التي هي من صفات هذا الشعب في تاريخه السحيق أجدى وأقرب إلى الواقعية.

وإن كلمة «عرب» في رأي فريق من العلماء ذات صلة بكلمة ARABHA «عرابا» العبرية التي تعني «الأرض المظلمة» أو «السهوب» أو بكلمة EREBH «عريب» التي يحياها السكان الحضريون، هذه الحياة التي يرفضها البدو ويحتقرونها، أو من كلمة ABHAR «عابر» وتعني بالعبرية «تحرك» أو «عبر» ومنها اشتق اسم اللغة العبرية

إن الربط بين كلمة (عرب) وحياة البداوة والتنقل أمر ليس بالبعيد الاحتمال،

(1) تاريخ الجاهلية ـ فروخ ص٤٢.

لأن العرب أنفسهم ـ بما في ذلك القرآن الكريم ـ قد استعملوا كلمة أعراب للدلالة على البدو الذين تعتمد حياتهم على النجعة والانتقال وبعكس سكان المدن في الجزيرة الذين كانوا مستقرين ويمارسون الزراعة والتجارة وغيرها من أعمال الحضر. ومن هنا جاء التفريق بين عرب وأعراب، إذ يقول القرآن الكريم: ﴿الأعرَابُ أشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقَاً﴾[1]. والأعراب هنا تستعمل بمعنى البدو حسبما جاؤوا في كل التعابير[2].

١ ـ مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام:

١ـ الكتب العربية: أقدم المصادر العربية المعروفة المدونة من تاريخ العرب وأصحها القرآن الكريم. فقد جاء فيه ذكر بعض القبائل البائدة كعاد وثمود، وبعض أخبار ملوك اليمن كسيل العرم وغيره. وإذا قرأت تلك الأخبار فيه لا تجد فيها شيئاً من المبالغات التي وصلت إلينا في كتب التاريخ بل تجد ما ذكره القرآن الكريم صحيحاً تؤيده الاكتشافات الحديثة، والبحوث العلمية الدقيقة ويدلك ذلك على أن تلك المبالغات أو الخرافات أدخلها أهل الأغراض أو الطامعون ممن دخل الإسلام من اليهود والمجوس أو غيرهم. لأن العرب كانوا يستفتونهم في تفسير ما أغمض عليهم فيفتونهم بما تعودوه في كتبهم من المبالغة في فخامة الأجسام وطول الأعمار، فلما ذكر القرآن الكريم عاداً يقول الله تعالى: ﴿ألَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إرَمَ ذَاتِ العِمَادِ. الَّتِي لَم يُخْلَقْ مِثْلُهَا في البِلَادِ﴾[3]. فأدخل المفسرون في شرحها وتفسيرها مبالغات رواها بعض من هؤلاء الذين أسلموا ظاهراً وبقوا على عقائدهم في السر[4].

وقلد المؤرخون العرب اليهود وغيرهم في كثير من طرق التدوين، فاقتبسوا منهم

---

(١) سورة التوبة آية (٩٧).

(٢) تاريخ العرب القديم ـ عاقل ص٤٧.

(٣) سورة الفجر آية (٦ـ٨).

(٤) العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص١٧ عن تاريخ التمدن الإسلامي ج٣.

رد كل أمة إلى أب من آباء التوراة حتى المغول والترك والفرس فردوا لأب الفرس مثلاً إلى فارس بن تاسور بن سام، وقالوا عن أهل الصين أنهم من ولد عابور بن يتوبل بن يافت بن نوح[1].

وقس على ذلك بقليل من أسماء البلاد وردها إلى أسماء مؤسسيها، فمثلاً «مصر» ابناها «مصرايم» و«آشور» بناها «آشور»، وقد ينسبون بناء البلد إلى حادثة أو ظرف فعندهم مثلاً أن «دمشق» سميت كذلك لأنهم «دمشقوا» بناءها، ويثرب من قولهم «لا تثريب»، و«الحيرة» من «تحير» والعراق من عرق القرية وهكذا. . والواقع أن الأندلس محرفة من «وندلوسا» نسبة إلى «الوندال» قوم سكنوا الأندلس قبل الإلام ويثرب محرفة من «أتريبيس» اسم بعض بلاد مصر، والحيرة «حيرتا» في السريانية أي «المعسكر» و«يعرب» لمن تكلم العربية. . وهكذا[2].

٢ ـ مصادر أخبار العرب:

أ ـ أشعار العرب وأمثالهم وأقوال كانت شائعة بين العرب في صدر الإسلام يتناقلونها نظماً أو نثراً، ويدخل فيها أخبار البدو وأيام العرب، وحروبهم ووقائعهم وعاداتهم وأخلاقهم فدونوها في جملة ما دونوه نقلاً عن الرواة كالأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما وقد ضاع أكثر ما دونوه.

ب ـ الآثار الحميرية: لأنهم كانوا في صدر الإسلام يقرأون الخط المسند، وكان في اليمن جملة من العلماء عندهم العلم والحكمة، وأخذوا عنهم، وعن الآثار تاريخ اليمن وأخبار السد وغيره، وأقدم من دوّن ذلك محمد بن إسحاق في السيرة النبوية.

ج ـ أخبار اليهود في الحجاز واليمن وغيرهما.

---

(١) سفر التكوين الإصحاح التاسع ص١٠٤ أبناء نوح عليه السلام ـ المسعودي ١/٥٥.
(٢) العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص١٨.

د ـ كنائس النصارى في العراق، فقد كان في الحيرة لما ظهر الإسلام كتب في السريانية والفارسية واليونانية اقتبس المسلمون منها كثيراً.

تم نقل هذه الأخبار دون تمحيص في بداية التدوين، ثم لما اكتمل للعرب نضج تمدنهم قام غير واحد من المؤرخين النقاد كابن الأثير «ياقوت»، وابن خلدون وغيرهم فانتقدوا كثيراً مما ورد عن تاريخ العرب[1].

يضاف إلى ذلك ما ورد عن أخبار العرب في التوراة والمؤرخين الرومان واليونان من (هيرودوتس) ٤٨٠ـ٤٢٥ق.م وحتى (استيفانوس) البيزنيطي ٥٦٧م أي ما يقارب الألف عام، ثم المصادر المنقوشة على الآثار في بلاد الغرب مثل الخط المسماري والاسفيني والخط النبـطي ويعتقد المؤرخون بأن حضارة العرب لا تقل بحال عن حضارة مصر وبابل، ولكن الرمال طمرتها ودثرت وإذا هيء لمن يكتشفها فإنها ستغير كثيراً من المفاهيم التي سادت عن تاريخ هؤلاء العرب وكذلك آثار اليمن وحضرموت والحجاز والحيرة وغير ذلك مما تمكن كشفه والاطلاع عليه ودراسته وخاصة الأنباط، وفترة حكم اليونان والرومان من بعدهم. ومن المصادر المنقوشة خارج جزيرة العرب في العراق ومصر وفنيقية، وقد ظهر بها الكثير من الحديث عن آثار العرب، وفترة حكم العمالقة على مصر وهم من العرب واكتساح المصريين والآشوريين لبلاد العرب[2].

إذا قلنا (العرب اليوم أفردنا سكان جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والسودان والمغرب) أما قبل الإسلام فكان يراد بالعرب ـ سكان جزيرة العرب فقط ـ[3] باعتبار

---

(١) العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص١٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص٢٥ فما بعد: وقد أورد المؤلف سرداً للكتب العربية والأجنبية التي اعتمد عليها في تأليف كتابه المذكور (العرب قبل الإسلام). وكذلك التاريخ العربي ومصادره ـ أمين المغربي ٢/ ١١٣ـ١١٦.

(٣) المصدر السابق ص٤١.

أن العرب الذين سكنوا العراق والشام قد خالطهم شعوب أخرى مثل السريان والكلدان والأنباط واليهود، وهم من الشعوب السامية إضافة إلى الأقباط والبربر واليونان والرومان والوندال من الشعوب الآرية وسكان النوبة من الشعوب الأفريقية.

فلما ظهر الإسلام بين العرب الخلص في الحجاز توطنوا هذه البلاد وغيرها، وغلب لسانهم ودينهم على ألسنة أهلها فسموا عرباً.

في التاريخ القديم ـ على عهد الفراعنة والآشوريين والفنيقيين، فكانوا يريدون بالعرب أهل البادية في القسم الشمالي من جزيرة العرب، وشرقي وادي النيل، وفي البقعة الممتدة بين الفرات في الشرق والنيل في الغرب (هيرودوتس ١١٢)، يدخل فيها بادية الشام والعراق وشبه جزيرة سيناء، وما يتصل بها من شرق الدلتا، والبادية الشرقية بمصر بين النيل والبحر الأحمر.

وكان وادي النيل هو الفاصل الطبيعي بين ليبيا في الغرب وبلاد العرب في الشرق. وكان المصريون يسمون الجبل الشرقي الذي يحد النيل في الشرق جبل العرب، أو بلاد العرب ويسمون الجبل الغربي جبل ليبيا.

ولفظ «عرب» في التاريخ القديم كان يرادف لفظ (بدو) أو (بادية) في هذه الأيام وهو معنى هذا اللفظ في اللغات السامية، والأعراب سكان البادية خاصة ولا مفرد لها على أن العرب كانوا يسمون جزيرتهم (عربة)[1].

ولما تحضر بعض قبائل العرب قديماً وأقاموا في مدن اليمن والحجاز وحوران وغيرها لم يعد لفظ العرب محصوراً في (البدو) فتنوع معناه كما تنوع مسماه، فاضطروا إلى كلمات تميز بين الحالتين فاستعملوا لفظ (الحضر) لأهل المدن و(البدو) لأهل البادية ولم يبق للفظ العرب من معنى البداوة الآن إلّا في مثل قولهم (أعرابي).

---

(١) معجم البلدان ـ الحموي ٦٣٣/٣

وكـان السبـأيون (دولة سبأ) إلى تاريخ الميلاد إذا ذكروا بعض قبائل الحضر وبدوها قالوا: «القبيلة الفلانية وأعرابها». وكان أولئك العرب أو البدو سكان تلك البادية في شمال جزيرة العرب يقسمون إلى قبائل وبطون وعشائر، كما كان حالهم قبل الإسلام وبعده[1].

٢ ـ تاريخ العرب:

اصـطلح مؤرخـو العرب أن يقسموا تاريخ العرب قبل الإسلام إلى قسمين: العرب البائدة والعرب الباقية.

ويريدون بالبائدة القبائل القديمة التي بادت قبل الإسلام. والباقية عندهم قسمان:

١ـ العرب القحطانية: من حمير ونحوها من أهل اليمن وفروعها.

٢ـ العرب العدنانية: في الحجاز وما يليها، واختلفت أقطار الباحثين في ذلك اختلافاً كثيراً.

وقد تبين لنا بدرس أحوال العرب وتاريخهم من أقدم أزمانهم إلى ظهور الإسلام أنهم سروا بثلاثة أدوار كبرى، كانت السيادة في الدور الأول أو القديم لقبائل القسم الشمالي من جزيرة العرب، وأكثر من العرب البائدة.

وفي الدور الثاني أو المتوسط كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم من القحـطان، والـدور الثالث أو الأخير عادت السيادة فيه إلى الشمال، وينتهي بظهور الإسلام وأكثر قبائله من العدنانية. فنقسم هذا التاريخ إلى ثلاث طبقات:

١ـ العرب البائدة أو عرب الشمال ومنها عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم.

---

(١) العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص٤١، ٤٢. العرب ـ ادوار عطية ١ـ٣، تاريخ العرب القديم ـ عاقل ص٣٣.

٢ـ القحطانية أو دول الجنوب ومنها سبأ وحمير ومن تفرع عنهم بعد خراب سد مأرب[١].

٣ـ العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني وهم قريش وحلفائها، وقبلهم الأنباط وغيرهم جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال وهم: عدنان، وقحطان، وقضاعة، فعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك إلاّ أن تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جهلت جملة وتكلم في ذلك قوم بما لا يصح ـ فلا نتعرض لذكر ما لا يقين فيه ـ وأما كل من تناسل من ولد إسماعيل عليه السلام فقد غيروا ودثروا، ولا يعرف أحد منهم على آديم الأرض أصلاً ـ حاشا ما ذكرنا من أن من بني عدنان من ولده فقط[٢].

روى عن النبي ﷺ أنه إذا انتسب إلى معد بن عدنان أمسك، ثم يقول: كذب النسابون. وقرأ ﷺ: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً﴾[٣].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأنتسب إلى معد بن عدنان، وما بعد لا أدري ما هو؟[٤].

وروى عن ابن مسعود أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بلغ النسب إلى معد بن عدنان ويعرب بن قحطان كف عمّا فوق ذلك ولم ينسب.

وروى عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب مثله.

وعن سليمان بن أبي خيثمة قال: ما وجدنا في علم عالم، ولا شعر شاعر أحداً يعرف معد بن عدنان، ويعرب بن قحطان.

---

(١) العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص٤٨ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ عاقل ص٣٧ فما بعد.
(٢) جمهرة الأنساب ـ ابن حزم ص٧.
(٣) سورة الفرقان آية (٣٨).
(٤) الروض الأنف ـ السهيلي ١/ ١١.

وعن أبي لهيعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كذب النسابون، ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان ويعرب بن قحطان إلا تخرص.

وكان ابن مسعود إذا قرأ: ﴿كَذَّبَ عَادٍ وَثَمُودَ والَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾[1] قال: كذب النسابون. قال: ولقي الحسن بن علي (رعفل) النسابة فقال له: أنت الذي تنسب الناس إلى آدم فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَقُرُوناً بَينَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾[2]؟

وأما قحطان فمختلف فيه من ولــد من هو؟ فقوم قالوا: هو من ولد إسماعيل عليه السلام وهذا باطل ولا شك. إذ لو كان من ولد إسماعيل لما خص رسول الله ﷺ بني العنبر بن عمرو بن تميم بن مر بن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بأن تعتق منه عائشة، وإذ كان عليها نذر عتق رقبة من بني إسماعيل، فآباؤه بلا شك من ولد إسماعيل فلم يبق إلا قحطان وقضاعة.

وقد قيل أن قحطان من ولد سام بن نوح، والله أعلم، وقيل: من ولد هود عليه السلام وهذا باطل أيضاً بيقين قول الله تعالى: ﴿إلى عَادٍ أخَاهم هُوداً﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فأُهلِكُوا بريحٍ صَرصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرها عليهم سَبعَ لَيالٍ وَثمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى القَومَ فِيهَا صَرعَى كَأَنَّهُم أعجَازُ نَخلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَل تَرَى لهم مِن بَاقِيَةٍ﴾[4]. وهود عليه السلام من عاد ولا ترى باقية لعاد.

والذي في التوراة[5] من أنه قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[6]. فقد بينا في كتابنا الموسوم بـ (المفصل) يقين فساد نقل التوراة

(١) سورة غافر آية (٣١).

(٢) سورة الفرقان آية (٣٨)، الأنساب ـ الصحاري ١/ ١٣٠-١٣١.

(٣) سورة الأعراف آية ٦٤.

(٤) سورة الحاقة اية (٥-٧).

(٥) سفر التكوين الإصحاح العاشر ص ١٦-١٧.

(٦) أصل العرب القحطانيه، وأبو بطون حمير وكهلان، والتبابعة (ملوك اليمن) واللخميين (ملوك

عند ذكرنا ما فيها من الكذب الظاهر الذي لا مخرج منه وأنها مصنوعة مولدة. ليست الذي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام.

أما قضاعة فمختلف فيه فقوم يقولون هو قضاعة بن معد بن عدنان، وقوم يقولون هو قضاعة بن مالك بن حمير والله أعلم.

ووجدنا في كتب بطليموس، وفي كتب العجم القديمة ذكر القضاعيين، ونبذة من أخبارهم وحروبهم فالله أعلم هل هم أوائل قضاعة هذه وأسلافهم، أم هم غيرهم.

وبلاد قضاعة متصلة بالشام، وببلاد اليونان والأمم التي بادت ممالكها فغلبت الروم عليها وبلاد بني عدنان ولا تتصل ببلاد اليمن أصلاً.

إلاّ أن الذي يقطع به ويثبت ويحقق ويوقن، فهو أنه ليس على ظهر الأرض أحد يصل نسبه بصلة قاطعة، ونَقْل ثابِت إلى إسماعيل، ولا إلى إسحاق عليهما السلام، نعني ابني إبراهيم ـ عليه السلام.. فكيف إلى نوح..؟ فكيف إلى آدم..؟ عليهما السلام، هذا لا مرية فيه(١).

وأما الذين يسمونهم العرب والنسابون «العرب العاربة» كجرهم، وقطورا، وجم، وجديس، وعاد، وثمود، وأميم (بن لاوزين بن سام بن نوح) وارم وغيرهم فقد بادوا، فليس على أديم الأرض أحد يصح أنه منهم إلاّ أن يدعي قوم ما لا يثبت وكذلك سائر ولد إبراهيم ﷺ كمدين بن إبراهيم وسائر إخوته، وكذلك بني عمون،

= الحيرة) والغساسنة (ملوك الشام) في الجاهلية، وكذلك الأوس والخزرج سكان المدينة من العرب. ويعده أهل الأنساب أول رجال الجيل الثاني من أجيال العرب الثلاثة العاربة والمتعربة والمستعربة.

(١) جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ٨/١.

ابني ابنة لوط الصغرى واسم ذلك الولد (بن عمى)(١) المنسوبون إلى لوط عليه السلام(٢).

واختلف النسابون في النسب بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فأما نسب إبراهيم إلى آدم صلوات الله عليهما مذكور فيها نسبهم، ومبلغ أعمارهم في الانتهاء في النسب إلى عدنان وقحطان، وما وراء ذلك فأسماء أخذت، وقال بعض العلماء بالأنساب إلى ما فوق قحطان وعدنان طلب غاية قصوى(٣).

وفي حديث عن الحضارة العربية قبل الإسلام يقول المؤلف:

بأن بلاد العرب قطر صحراوي فسيح تبلغ مساحته حوالي ثلاثة ملايين كيلو متر مربع، وهي شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من آسيا يحدها الخليج العربي وبحر عُمان من الشرق والمحيط الهندي من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب، وبادية الشام وبلاد الرافدين من الشمال وهي بهذا الموقع تحتل مركزاً غاية في الأهمية بالنسبة للمواصلات والمبادلات التجارية بين عالم حوض البحر المتوسط وعالم المحيط الهندي.

ويعتبر العرب الممثلون الرئيسيون لما دعاه علماء الأجناس «الجنس الشرقي» إنسان الشرق القديم المرفوع القامة، والهزيل البنية، الأسمر البشرة والأسود الشعر. وقد توزع أبناء الجنس الشرقي هذا في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، وأصابوا درجة معينة من التقدم الحضاري، وتكاثروا، ولم تعد واردات الجزيرة العربية المحدودة كافية لإعالة أعدادهم المتزايدة، وعلى الأثر أخذت جماعات منهم تنزح على شكل موجات بشرية متلاحقة إلى الأقاليم المجاورة حيث تيسرت موارد العيش في الأحواض النهرية وعند السواحل البحرية، من هذه الموجات كان الأكاديون

---

(١) سفر التكوين ١٩ : ٢٨

(٢) جمهره أنساب العرب ـ ابن حزم ١/ ٨. (٣) الأنساب ـ مسلمة الصحارى ١/ ١٣١.

والبابليون، والكلدانيون والآراميون والكنعانيون، كما نزحت فئات منهم إلى وادي النيل، وتشكل من امتزاجها مع العناصر الأفريقية الشعب المصري[١].

من هذه الدراسة السريعة نكون قد وجهنا النظر تقريباً إلى العرب الذين سبقوا ظهور الإسلام والفترة التي مر بها العرب والمعنية بدراستنا وهي «فترة الجاهلية» التي أصبحت هذه التسمية السمة الغالبة عليها، وهي المصطلح الذي سبق ظهور الإسلام بحوالي ثلاثة قرون تقريباً. وللمؤرخين في دراسة هذا العصر آراء ومذاهب واتجاهات كثيرة حول التسمية، وحول الصفات الغالبة على السكان، سواء في معاشهم أو حياتهم أو حروبهم أو تجمعاتهم.

وبعض المؤرخين لا يبتعدون كثيراً لتحديد ما عرف بالعصر الجاهلي عن مئة وخمسين عاماً قبل ظهور الإسلام، وما سبق ذلك يطلقون عليه اسم الجاهلية الأولى، وهي الفترة التي سادت جزيرة العرب قاطبة. وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر. ليست مشتقة من الجهل الذي هُوضد العلم ونقيضه[٢] وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، وهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلّ وعز، وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم.

---

(١) الحضارة العربية ـ لبيب عبدالساتر ص٢٢٦.

لقد خلط المؤلف بين العرب كقوم منفصلين من سلالتي عدنان وقحطان وبين الشعوب السامية التي تتحدر من سلالة سام بن نوح والتي هاجرت من الجزيرة العربية، إذ أن العديد من علماء التاريخ يعتبرون الجزيرة العربية مهد هذه الشعوب السامية والعرب من هذه الشعوب وقد جمع العرب صفاتها والباقي منها، وكذلك اللغة العربية واللغات السامية وهي التي حافظت على خصائص تلك اللغات وهي اللغة الحية الباقية منها حيث نزل بها القرآن الكريم فحفظها ودعمها وخلدها

(٢) مادة جهل القاموس المحيط ـ الفيروزابادي ٣/٣٦٤.

ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب قال تعالى: ﴿خُذِ العَفوَ وأْمُر بالعُرفِ وأعرِض عَن الجاهِلين﴾[1]. وقال: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعوذُ باللهِ أن أكونَ مِنَ الجَاهِلينَ﴾[2]. وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحمنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلى الأرضِ هَوناً وإذا خاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾[3]. وفي الحديث الشريف: أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر وقد عير رجلاً بأمه: «انك امرؤ فيك جاهلية».

وفي معلقة عمرو بن كلثوم الثعلبي:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وواضح سن النصوص جميعاً أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق، وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موبقات[4].

٣ ـ القبائل العربية البدوية:

١ـ طبقات القبائل: هذه النظرة الخاصة بتعريف القبيلة هي التي حملت أهل الأنساب والأخبار على إطلاق لفظ القبيلة على الحضر (سكان المدن والواحات) إضافة إلى البدو (سكان الخيام والمترحلون). مع أن الحضر استقروا وأقاموا، فقريش عندهم قبيلة والأوس والخزرج قبيلة، وثقيف قبيلة[5].

---

(١) سوره الأعراف آبه (١٩٩).

(٢) سوره البقرة آبه (٦٧). (٣) سورة الفرقان آية (٦٣).

(٤) تاريخ الادب العربي ـ ضيف ص٣٩. (٥) جواد علي ـ ناريخ ٣١٣/٤.

ولكل قبيلة جد تنتمي إليه، وتفاخر وتتباهى به، وقد يكون هذا الجد حقيقياً أي إنسان، عاش ومات وساد القبيلة وترك أثراً كبيراً في قبيلته حتى نسبت إليه، وقد يكون الجد اسم حلف تكون وتألف من قبائل عديدة حتى عرفت به، ودعيت بذلك الحلف، وصار وكأنه جد وإنسانغاش. ومن هذا القبيل اسم (تنوخ) على حد زعم أهل الأخبار. فقد رووا أن (تنوخ) قبائل عديدة اجتمعت وتحالفت وأقامت في مواضعها. وقد يكون اسم موضع، أقامت قبيلة به فنسب إليه، كما يذكر أهل الأخبار عن اسم «غسان». وقد يكون اسم إله عُبِدَ فنُسِبَ إليه عباده مثل بنو (سعد العشيرة) و(تالب ريام) جد قبيلة همدان وقد يكون اسم نبات أو حيوان وما شابه ذلك[1].

٢ـ مراتب القبائل: رتب علماء الأنساب قبائل العرب على مراتب هي:

شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة.

فالشعب: النسب الأبعد مثل عدنان، قحطان.

والقبيلة: مثل ربيعة ومضر.

والعمارة: مثل قريش وكنانة.

والبطن: مثل عبد مناف، وبني مخزوم، وبني هاشم، وبني أمية.

والفصيلة: مثل بني أبي طالب، وبني العباس[2].

وجعل ابن الكلبي مرتبة بين الفخذ والفصيلة وهي مرتبة العشيرة وهي رهط الرجل[3].

وبنى النويري طبقات القبائل على عشر طبقات وهي:

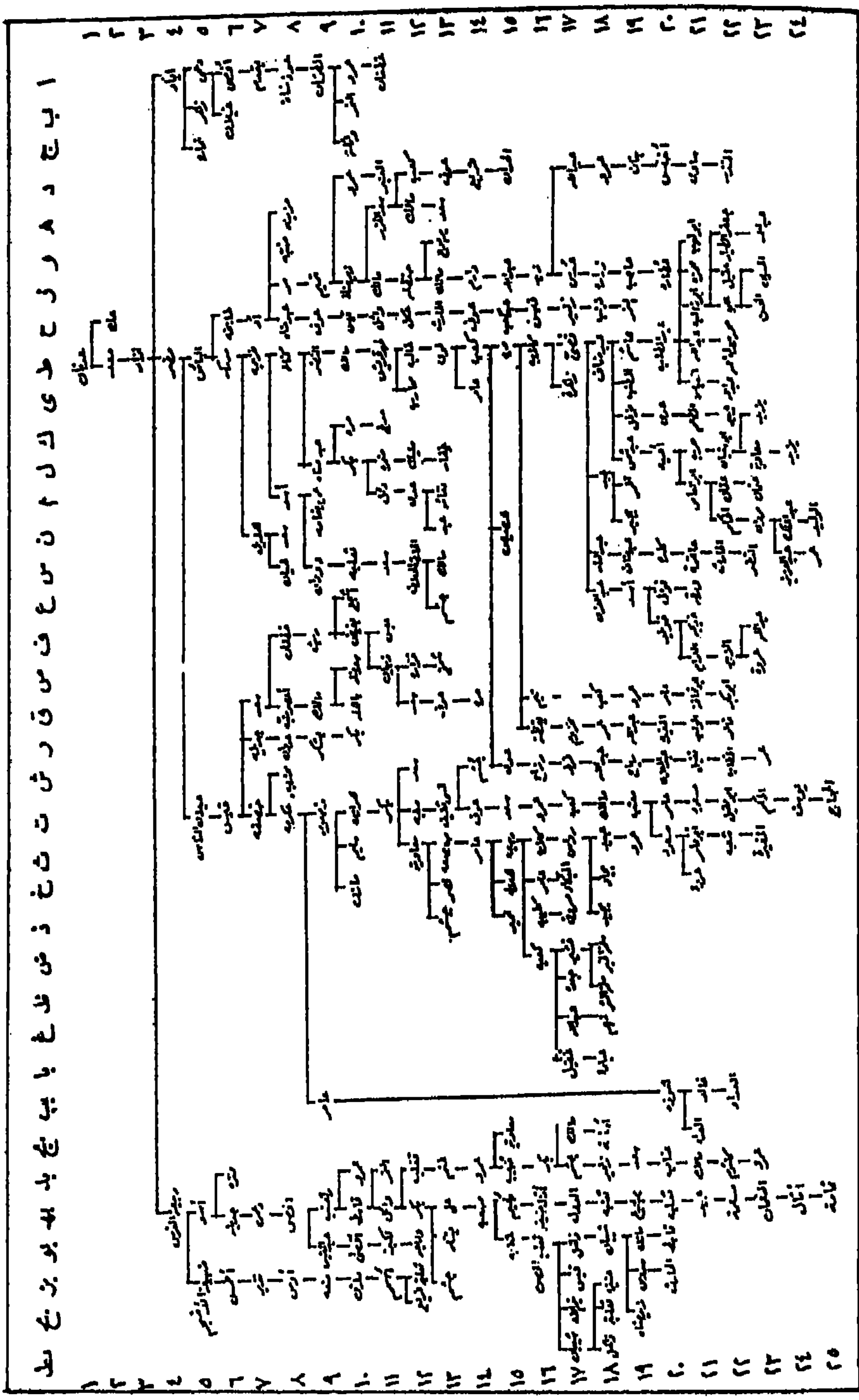
---

(١) المصدر السابق ٤/ ٣٤٠.

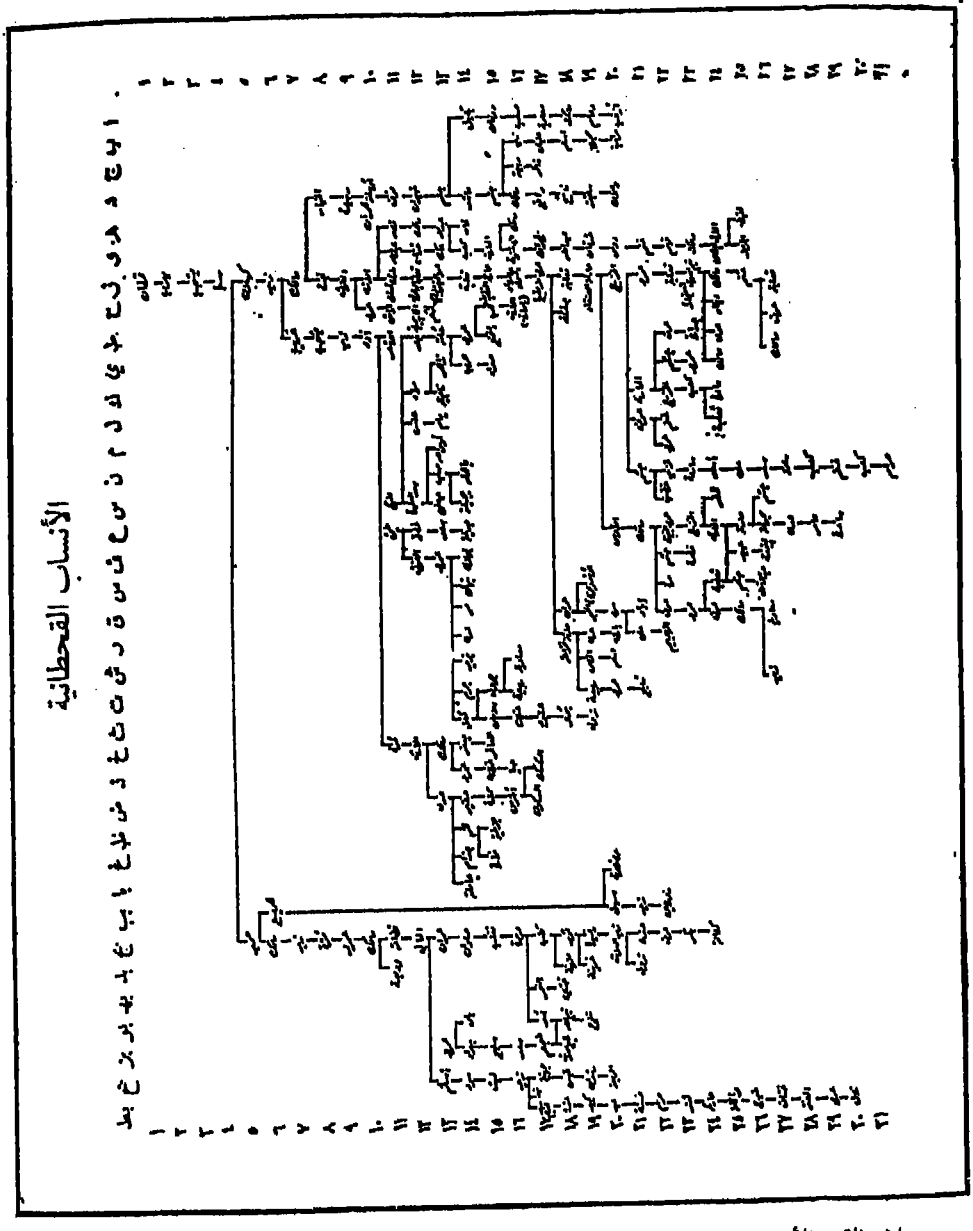
(٢) بلوغ الأرب ٣/١٨٧ فما بعد، لسان العرب ١٤/ ٧٥ ـ البطن دون القبيلة، وقبل هو دون الفخذ وفوق العمارة، اللسان ١٦/١٩٩، الإكليل ١/ ٢٢.

(٣) العقد الفريد ٣/٢٨٣ فما بعد.

الأنساب العدنانية



ملاحظة: الأرقام تدل على الطبقة في المحور العامودي، والحروف الأبجدية في المحور الأفقي تدل على إلعمود في شجرة الأنساب العدنانية نقلاً عن كتاب: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة الملحقة في آخر الكتاب لجامعها الدكتور محمد حميد الله».



ملاحظة: الأرقام تدل على الطبقة في المحور العامودي، والحروف الأبجدية في المحور الأفقي تدل على العمود في شجرة الأنساب القحطانية نقلاً عن كتاب: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة الملحقة في آخر الكتاب لجامعها الدكتور محمد حميد الله».

الجذم، والجماهير، الشعوب، القبائل، العمائر، البطون، الأفخاذ، العشائر، الفصائل، الأرهاط(١).

ورتب (نشوان بن سعيد الحميري) القبائل على هذا النحو:

الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الجيل، ثم الفصيلة. وجعل مضر مثال للشعب، و«كنانة» مثال القبيلة، و«قريشاً» مثال العمارة، و«فهراً» مثال البطن، و«قصياً» مثال الفخذ، و«هاشماً» للجيل، و«آل العباس» للفصيلة(٢).

وأكثر علماء النسب يقدمون الشعب على القبيلة، والظاهر أن الفكرة كانت قد اختمرت في رؤوس الجاهليين الذين عاشوا في الجاهلية القريبة من الإسلام حتى ظهرت عندهم الفكرة القومية بمعنى واسع، وحيث نجد عندهم ظهور الكلمات التي تشير إلى هذا المعنى، قبل إطلاقهم العرب على العرب جميعاً اصطلاحاً، وحيث أخذ الحمى القومي يظهر بين القبائل بوجوب التكتل لمكافحة «الغرباء» كالذي حدث في معارك اليمن مع الجيش «الأحباش» وفي معارك عرب العراق مع «الفرس».

وقد قدّم القرآن الكريم الشعوب على القبائل: ﴿وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارفُوا إنَّ أَكْرَمَكُم عندَ اللهِ أتقَاكُم﴾(٣).

فالشعوب هنا فوق القبائل، وتعبر عن هذا المعنى الواسع الذي أتحدث عنه.

وزاد بعض العلماء (الجذم) بأن وضعوها قبل الشعب، ووضعوا الفصيلة «بعد

---

(١) نهاية الأرب ٢/٢٦٢ فما بعد.

(٢) المنتخبات ص٥٥ حاشية جواد علي - تاريخ ١/٥٠٩ فما بعد.

(٣) سورة الحجرات آية (١٣)

العشيرة» ومنهم من زاد بعد العشيرة «الأسرة» ثم «العترة» ورتبها آخرون على هذه الصورة:

الجذم، ثم الجمهور، ثم الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم العشيرة، ثم الفصيلة، ثم الرهط، ثم الأسرة، ثم العترة، ثم الذرية.

وزاد غيرهم في أثنائها ثلاثة هي: «البيت، الحي، والجماع».

والاختلاف الذي نراه من علماء النسب هو في الترتيب أي من حيث التقدير والتفاخر وفي إضافة بعض المصطلحات، أو في نقصها. أما من حيث العموم فإننا نجدهم يتفقون في الغالب، ولا يختلفون أبداً في أن القبائل والأنساب كانت على منازل ودرجات ولا بد أن تكون أكثر هذه المصطلحات مصطلحات أهل الجاهلية القريبين والإسلام. أما بالنسبة للجاهليين البعيدين عنه فلن يكون حكمنا عليهم علمياً - إلّا إذا أخذنا بمصطلحاتهم من كتاباتهم.

والقبيلة الجماعة التي تنتمي إلى نسب واحد، ويرجع ذلك النسب إلى جد أعلى أو إلى جدة، وهو في الأقل، ولا تزال اللفظة حية مستعملة يستعملها العرب في كل مكان في المعنى الاصطلاحي المستعمل عند النسابين.

والقبيلة هي المجتمع الأكبر بالنسبة لأهل البادية فليس فوقها مجتمع آخر[1].

هذا بالنسبة للأحرار من العرب أو المجتمعين بتجمع واحد ينتسبون إلى جد واحد، يحفظون أنسابهم ويتفاخرون به، ويعرفون ارتباطهم بسواهم وهم «العرب الصرحاء».

إلّا أن المجتمع العربي لم يكن خالصاً من الصرحاء فقط بل كان به بعض التداخل من موالي وعبيد ولقطاء إلخ ما هنالك.

---

(١) جواد علي - تاريخ ١/٥٠٩ فما بعد.

والموالي: جمع مولى (والولي) القرب، والدنو، والمطر بعد المطر، وُليتُ الأرض بالضم.

ولي: الاسم منه والمحب والصديق والنصير، وولي الشيء وعليه ولاية وولاية وهي المصدر وبالكسر الخطة والإمارة والسلطان، وأوليته الأمر: وليته إياه والولاء: الملك، والمولى: المالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب، كابن العم ونحوه والجار والحليف، والابن، والعم، والنزيل، والشريك، وابن الأخت، والولي والرب والناصر، والمنعم، والمنعم علي. والمحب، والتابع، والصمد.

وفيه مولوية: أي يشبه الموالي، وهو متيمولى: يتشبه بالسادة، وتولاه: اتخذه ولياً[1]، وأما مولى العقد ويقال له مولى الحلف ومولى اصطناع فيكون بانتماء رجل إلى رجل آخر بعقد أو قبيلة إلى قبيلة أخرى بحلف، وذلك أن يتعاقد ضعيف مع قوي، على أن يساعده ويعاضده ويقوم في مقابل ذلك بأداء ما اتفق عليه من شروط، وينتسب المولى عندئذ إلى سيده أي مولاه الذي قبل ولاءه.

من هذا القبيل يهود يثرب، فقد كانوا في ولاية الأوس والخزرج، لجأ كل بطن إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم، وصاروا موالي لهم، إذا وقع عليهم ضيم لجؤوا إلى من ائتمنوا إليه بالولاء للدفاع عنه، ولما ظهر الإسلام كان من دخل في ولاء عبدالله بن أبي، ومنهم من دخل في ولاء سعد بن معاذ، ومنهم من كان في ولاء عبادة بن الصامت. وكان في مقابل ذلك عليهم العون والنصرة لمن دخلوا في ولائه أو ولائهم والدفاع عنهم، وأن يكونوا بمثابة العون لهم[2].

والعبيد: جمع عبد ومؤنثه أمة.

والعبد: ضد الحر وجمعه عبيد، مثل كلب وكليب وهو جمع عزيز.

---

(١) القاموس المحيط ٤/٤٠٤ مادة «الولي» مختار الصحاح ٧٣٦ مادة و ل ى.

(٢) جواد علي - تاريخ ٤/ ٣٦٦-٣٦٧.

والعبودية: الخضوع والذل، والتعبيد: الاستعباد، وهو اتخاذ الشخص عبداً[1] وكـان العبيد لا يملكون من حق الحياة قبل الإسلام إلّا الطعام والشراب، وكانوا يبـاعون ويشرون ويورثون، ويوهبون ويقتلون، ويجري التصرف بهم كما يجري التصـرف بالبهـائم وكـان الاستعباد من الأسر والسلب والشراء والولادة، وكان في المجتمـع العـربي الكثير من العبيد الـذين كانـوا يقـومون على خدمة ساداتهم، ويمتهنون مهن الخدمة المنزلية أو الرعي، أو أية مهنة يتأفف ويأنف منها الأحرار.

وقـد برز العديد من العبيد في الجاهلية ولعل عنترة بن شداد مثـال من هؤلاء الذين برزوا بشكل واضح، ومن العبيد بلال بن رباح الذي اشتراه أبو بكر وأعتقه وكان له دوره المعروف في الإسلام.

ويقسم النسابون القبائل العربية بين قبائل العرب الشمالية جميعها قسمين كبيرين:

قسم عدناني مضري: وهو عرب الشمال المنحدرون من عدنان ونزار ومضر.

وقسم قحطاني: ينحدر من قحطان (ولعله يقطان المذكور في التوراة)[2] وقد هاجر هذا القسم من الجنوب من اليمن وحضرموت وعاش بين العرب الشماليين.

ومن يرجع إلى الشعر الجاهلي يجد فيه الفخر باليمنية والقحطانية والعدنانية والمضرية كما يجد في العصبيات مشتعلة بين القبائل على أساس الاشتراك في الدم وفي أب واحد وأم واحدة.

لقد اختلف النسابون في أصل بعض القبائل هل هي عدنانية أو قحطانية..؟

مثـل خزاعـة وقضـاعة وخشعم، ولكنه اختلاف محدود، والرأي الصريح أن هذه

---

(1) مختار الصحاح ص ٤٠٧-٤٠٨، وتهذيب الصحاح ١/٢٢٨ مادة (عبد). والقاموس المحيط ٣/٣٢٢ مادة «العبد».

(2) الكتاب المقدس ـ سفر التكوين ـ الإصحاح العاشر ص١٦.

القبائل قحطانية ومن الثابت الذي لا شك فيه أن القحطانيين هاجروا بتأثير ظروف اقتصادية وسياسية إلى الشمال وأن هذه الهجرات بدأت منذ أزمان مبكرة، فقد كان المعينيون على ما يظهر يضعون حاميات في طرق قوافلهم التجارية، ولما ضعفت الدولة الحميرية دولة سبأ وذى ريدان وحضرموت واليمنيات، هاجر كثير من الجنوبيين إلى الشمال وخاصة بعد سيل العرم الذي ضرب سد مأرب، ويؤكد ذلك أننا نجد للقبيلة الواحدة فروعاً وشعباً مختلفة في الجزيرة العربية.

فكندة التي هاجرت إلى الشمال، وأسست لها مملكة أو إمارة في شمال نجد لا تزال بقيتها الكبرى تقيم في حضرموت عندما ظهر الإسلام، ونجد في أسماء رجالها نفس الأسماء الجنوبية، مثل شرحبيل بن الحارث، ومعد يكرب أخيه، وكانت عشائر من إياد لا تزال تنزل في شمال نجران بينما يممت عشائر منها حوض الفرات.

أما (الأزد) فقد توزعت قبائلها وعشائرها بين شمال اليمن وعمان، والمدينة حيث أقام الأوس والخزرج، وشمال الجزيرة في الشام حيث نزل بنو غسان «كما يرد تفصيلاً بعد ذلك» وفي هذا دلالة واضحة على أن هجرة الجنوبيين إلى الشمال لا يعتريها الشك، وهاجرت تنوخ[١] إلى البحرين، ثم استقرت في جنوب العراق حيث أسست أهم عشائرها وهي «لخم» دولة المناذرة في الحيرة، ولما نزحت قبائل همدان من حضرموت إلى الجوف اليمني بين مأرب ونجران هاجرت قبيلة طيء إلى الشمال واستقرت في جبلي (أجأ وسلمي) وهاجرت قبائل أخرى إلى شمال الحجاز، وانتشرت في بادية الشام وأهمها (قضاعة) و(بهراء) و(جهينة) و(تلي) التي نزلت مساكن ثمود وجذام، وكلب وعاملة اللائي نزلن حدود فلسطين، وعذرة التي نزلت بالقرب من تيماء ووادي القرى.

---

(١) نجمعات ننوخ نعصىلا الكامل في الناريخ - اس الأتير ١٩٦/١ فما بعد، الطبري - تاريخ ٦١٠/١ فما بعد.

ومن هاجر إلى الجنوب أيضاً (خزاعة) وكانت مستقرة قبيل الإسلام في منطقة مكة و(بجيلة) وكانت تنزل جنوب الطائف.

ويقابل هذا القسم القحطاني اليمني قسم عدناني مضري، ومن أهم قبائله (قريش) في مكة و(ثقيف) في الطائف، و(عبدالقيس) في البحرين، و(بنو حنيفة) في اليمامة و(تميم وجفنة) في صحراء الدهناء، و(بكر وعشائرها) الكثيرة التي تمتد من الشمال الشرقي للجزيرة إلى اليمامة والبحرين، ويرد إليها النسابون (بني حنيفة)، و(بني يحجل) و(شيبان وذهل)، ثم تغلب وكانت تتوغل أكثر من بكر في شمال الجزيرة صوب الشرق، وكان يجاورها (بنو التمر) بينما كانت تنزل (أسد) في شمال نجد، وتنتشر عشائرها إلى تيماء، ومن هذه القبائل العدنانية أيضاً (كنانة) و(هذيل) بالقرب من مكة و(قيس وعيلان) في نجد وأهم قبائلها (هوازن) و(سليم) و(عامر وعشائرها كلاب وعقيل وقشير ومزينة وبنو سعد) و(غطفان وفرعاها الكبيران عبس وذبيان) ومن المفضليات قصيدة حرايقه للأخنس بن شهاب يحصي فيها منازل كثيرة من هذه القبائل (القصيدة رقم ٤١) في المفضليات[١].

٤ ـ الحياة السياسية للقبائل العربية:

هذه القبائل جميعها المتبدية منها والمستقرة في مدن كمكة والحيرة ويثرب وسواهم كانت تتحد في نظمها السياسية وهي نظم قبلية تقوم على أساس القبيلة واشتراك أبنائها في أصل واحد وموطن واحد، وهو موطن متنقل المراعي، وكذلك اشتراكها في تقاليد وعرف تتمسك بهما تمسكاً شديداً، وكان الرباط الذي يوثق الصلة بين أفراد القبيلة هو العصبية، وهي عصبية قبلية ليس فيها شعور واضح بالجنس العربي العام وحقاً تكونت عندهم إمارات في الشمال، ولكنها ظلت تقوم على أساس العصبية القبلية وإن بدا في تضاعيفها شعور ضيئل بالوحدة لا بين القبائل

(١) تاريخ الأدب الجاهلي ـ صيف ص٥٥ فما بعد (بتصرف).

الشمالية فحسب، بل بينها وبين القبائل الجنوبية، فقد كان امراء هذه القبائل من العرب الجنوبيين كما يقول رواة الأخبار والنسابون.

ومن الاتحـــادات التي كانت تجمعهم اتحـادات الأحـلاف، ويظن أن هذه الاتحادات لعبت دوراً كبيراً في تكوين القبائل، إذ كانت تضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية الكبيرة لتحميها وترد العدوان عنها.

يقـول البكري: فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، تنافس الناس في الماء والكلأ، والتماسهم المعاش في المتسع، وغلبة بعضهم بعضاً على البـلاد والمعـاش واستضعـاف القوي الضعيـف، انضم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير وتباين القوم في ديارهم ومحالهم، وانتشر كل قوم فيما يليهم (تجمع تنوخ في البحرين) وهي التي تمثل ذلك خير تمثيل في العراق. فقد انضم إليها وتلاشى فيها كثير من القبائل والعشائر العراقية.

وبمجرد أن تدخل القبيلة في حلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق، فهم ينصرونها على أعدائها، ويردون كيدهم عنها في نحورهم، وقد تنفصل بعض قبائل الحلف لتنضم إلى حلف آخـر يحقق مصـالحهـا، ومن ثم كنا نجد دائماً أحلافاً تضعف، وتحـل محلهـا أحلاف أخرى وقبائل قليلة لم تدخل في أحلاف ولذلك سميت (حجرات العرب) لما كان فيها من شجعان يكفونها في الحرب، على أن هذا كثيراً ما كان يؤول بها إلى أن تنهك في المعارك. أما القبائل المتحالفة فكانت تهاب الخشونة فيها[1].

والكلمـة من حلف يحلف حلفاً ويكسر حلفاً. ويقال: لا ومحلوفائه بالمد، ومحلوفه بالله أي أحلف: أقسم. والأحلوفة من الحلف والحلف بالكسر: العهد بين القوم والصداقة والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به. جمع أحلاف. والأحلاف

---

(١) ناريخ الأدب ـ ضيف ص٥٧.

في قول زهير: أسد وغطفان لأنهم تحالفوا على التناصر. والأحلاف قوم ثقيف وفي قريش ست قبائل عبدالدار وكعب وجمح وسهم ومخزوم وعدى لأنهم لما أرادت بنو عبدمناف أخذ ما في أيدي عبدالدار من الحجابة والسقاية، وأبت عبدالدار عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن يتحالفوا، فأخرجت عبدمناف حفنة مملوءة طيباً فوضعتها لأحلافهم وهم أسد وزهرة وتيم عند الكعبة فقسموا أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاقدت بنو عبدالدار وحلفاؤهم حلفاً آخر مؤكداً فسموا الأحلاف. . إلخ[1].

وكانوا يقولون عند عقد أحلافهم الدم الدم الهدم الهدم، لا يزيد العهد طلوع الشمس إلّا شدا، وطول الليالي إلّا مدا. مابل بحرصوفه، وأقام رضوى في مكانه، إن كان جبله (رضوى) وإلّا ذكروا ما يجاورهم من جبال، وربما أوقدوا النار عند تحالفهم، ودعوا الله من ينكث العهد بالحرمان من منافعها.

ويقال: إن قبائل مرة بن عوف الذبيانيين تحالفت عند نار، ودنوا منها حتى محشتهم (أحرقتهم) فسمي حلفهم «المحاشى».

وأكرم الأحلاف حلف الفضول، وفيه تحالفت قبائل قريش على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً إلا نصروه فقاموا معه حتى ترد عنه مظلمته[2]، ومن أسوأ أحلافهم حلف قريش ضد الرسول ﷺ وبني هاشم، عندما تحالفوا بينهم أن لا يكلموا أحداً منهم، ولا يزوجوهم، ولا يتزوجون منهم، ولا يطعمونهم، ولا يأكلون منهم، وكتبوا كتاباً وضعوه في جوف الكعبة، وأكلته (الأرضة) ولم يبق منه إلّا كلمة «باسمك اللهم»[3].

ومن أحلاف العرب المشهورة حلف (الرباب) وهي خمس قبائل «خبة وثور

---

(١) القاموس المحيط ١٣٣/٣ مادة حلف.

(٢) تاريخ الأدب ـ ضيف ص ٥٨.

(٣) السيرة النبوية ـ ابن كثير ٤٣/٢. سيرة ابن هشام ١٤/٢، الكامل ـ ابن الأثير ٥٨/٢، الطبري ـ تاريخ ٣٣٥/٢.

وعكل وتيم وعدي» وحلف (عبس وعامر) ضد (ذبيان وأحلافها من تيم وأسد) وحلف (الحمر) بين (قريش وخزاعة وكنانة).

وكان لهذه القبائل جميعاً المتحالفة وغير المتحالفة مجلس يضم شيوخ عشائرها وهو ندوتهم التي ينظرون فيها شؤون قبيلتهم، وكان كل فرد يستطيع أن يحضره، وأن يتحدث فيه، ولم يكن له موعد محدد معين، وفي العادة يجتمعون مساء، وكلما حَزَب أمر أو ظهر ما يدعو إلى الاجتماع، فيتناقشون ويتحاورون، وقد يخطبون أو يستمعـون إلى بعض ما ينظمه شعراؤهم. وفي أثناء ذلك يدلي سادتهم بحكمهم وتجاربهم في الحياة.

وغالباً ما يتقدم شيوخ القبيلة شيخ كبير مجرب، هو سيدها له حنكة وحكمة وسـداد في الـرأي، وسعـة في الثروة، وهو الذي يقود القبيلة في حروبها ويقسم غنائمها، ويستقبل وفود القبائل الأخرى، ويعقد الصلح والمحالفات، ويقسم الضيافات.

فالسيد في القبيلة إما هو الشخص الألمعي الذي حنكته التجارب، وغالباً ما يرث سيادته عن آبائه حتى يتم له الحسب الرفيع، وليس له أي حقوق سوى توقيره، أما واجباته فكثيرة فلا بد له من الشجاعة والكرم والنجدة وحفظ الجوار وإعانة المعوز والضعيف. ولا بد أن يتحمل أكبر قسط من جرائر القبيلة، وما تدفعه من ديات ولا بد أن يكون حليماً متسامحاً.

وكـان أفـراد القبيلة جميعاً يضعون أنفسهم في خدمتها وخدمة حقوقها وعلى رأسها حق أخذ الثأر، وكل فرد يضحي لها بنفسه كما يضحي بماله، فالقبيلة حياته وكيانه.

وكـانت القبيلة تعـطي من جانبهـا لأبنـائها نفس الحقوق، فهي تنصرهـم في الملمـات التي تنزل ظالمين ومظلومين، وكل قبيلة مستعدة دائماً للحرب والجلاد

والإغارة على من حولها من البدو والحضر. فكانت الشجاعة مثلها الأعلى والشجعان هم قادتها وروادها، والذين يدفعون عنها عند الشدة، ومن هنا جاءت أيام العرب الكثيرة التي سيرد الحديث عنها عن أيام الأوس والخزرج[1].

(١) تاريخ الأدب ـ شوقي ضيف ٦١ـ٦٣ بتصرف.

الفهرست